

إِمَامَةُ الشَّيْعَةِ

تُهْدَدُ

رُكْنُ النُّبُوَّةِ وَخَاتَمِيَّتِهَا

بِقَلَمِ

عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّافِعِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإن المتتبع لخلافات الفرق الإسلامية يعلم يقيناً أن أبرز نقطة جوهرية تفرّد باعتقادها الشيعة الإمامية هي قضية الإمامة ومعناها الاعتقاد بوجوب وجود إمام معصوم بعد النبي ﷺ إلى قيام الساعة⁽¹⁾، مفارقين بذلك أهل السنة بجميع فرقهم الذين لا يعتقدون بوجوب ذلك.

وقد كان من الطبيعي جداً أن يحاول الشيعة إثبات صحة معتقدهم هذا والدفاع عنه بشتى الوسائل الممكنة، تارة عن طريق سوق ما يأملون أن يصبّ في مصلحة دعواهم تلك من أدلة عقلية ونقلية - كتاب وسنة - وعرضها على أنها براهين سائدة في إثبات صحة معتقدهم في الإمامة، وتارة أخرى من خلال شنّ هجوم عنيف لا هوادة فيه على عقيدة أهل السنة والجماعة الذين لا يعتقدون بالإمامة وفق مفهومهم لها.

ولو أن قضية الإمامة هذه بقيت داخل إطار البحث العلمي وأصوله المعروفة من حيث عرضها على أنها فرضية علمية تمثل نتاج إعمال بعض أهل الرأي والنظر عقولهم في مجموعة من الأدلة والمعطيات ليتوصلوا إلى إقرارها حسب ما أوصلهم إلى ذلك اجتهادهم، وأن هذه الفرضية خاضعة للمناقشة والتقييم من قبل أهل العلم والرأي والاجتهاد دون نفي آراء المخالفين لها أو إخراجهم من حظيرة الإسلام الواسعة، على اعتبار أنها نتاج الفكر البشري وليست أصلاً عقائدياً مقطوعاً فيه، أقول لو أن الأمر نهج هذا المنهج وسار على هذا المسار لما كان فيه بأس أو ضرر ربما، وكان الحوار علمياً لمناقشة وجهات النظر والتقريب بينها.

إلا أن قضية الإمامة انحرف بها علماء الشيعة انحرافاً خطيراً، وانعطفوا بها انعطافاً بعيدة كل البعد عن الحوار بين الفرق الإسلامية داخل دائرة الإسلام، وذلك حين عدّوا قضية الإمامة من أصول الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد. بل عدّوها أهم

(1) فيقول علامتهم وحجتهم محمد رضا المظفر في كتابه (عقائد الإمامية) ص 102-103: [فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه... وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى].

وأفضل من بعض الأصول العظيمة كالنبوة⁽¹⁾. مع أن الصواب جعلها من المسائل الفرعية الاجتهادية القابلة للأخذ والرد بين الفرق الإسلامية، فمن علمائهم المعاصرين الذين صرحوا بكونها من أصول الدين:

1- آيتهم العظمى وعلامتهم ومحققهم جعفر سبحاني الذي يقول في كتابه (الملل والنحل) تحت عنوان (هل الإمامة من الأصول أو من الفروع) ما نصه: **[الشيعة على بكرة أبيهم اتفقوا على كونها أصلاً من أصول الدين وقد برهنوا على ذلك في كتبهم، ولأجل ذلك يُعدُّ الاعتقاد بإمامة الأئمة من لوازم الإيمان الصحيح عندهم، وأما أهل السنة فقد صرحوا في كتبهم الكلامية أنها ليست من الأصول]**⁽²⁾، وقال: [اتفقت كلمة أهل السنة أو أكثرهم على ان الإمامة من فروع الدين هذا ما لدى أهل السنة، و أما الشيعة فالاعتقاد بالإمامة عندهم اصل من أصول الدين]⁽³⁾.

2- وقال محمد رضا المظفر: [نعتمد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالإعتقاد بها]⁽⁴⁾.

3- يقول الخميني: [الإمامة إحدى أصول الدين الإسلامي]⁽⁵⁾.

4- يقول عبد الحسين المظفر: [ولأجل هذا وجب علينا أن نبحث عن الإمامة لأنها اصل من أصول الدين ولا يستقيم بدونها]⁽⁶⁾.

5- يقول آيتهم العظمى ناصر مكارم الشيرازي: [فالإمامة في نظر طائفة الشيعة واتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام من أصول الدين والأسس العقائدية، بينما تعتبر في نظر طائفة أهل السنة من فروع الدين والأحكام العملية]⁽⁷⁾، وقال: [لهذا

(1) كما سنشير إلى بعض نصوص علمائهم الصريحة في تفضيل الإمامة على النبوة والرسالة وبتفضيلهم الأئمة على الأنبياء وذلك ص من هذه الدراسة فترقب.

(2) الملل والنحل ج 1 ص 257.

(3) ينظر الإلهيات: 10-9/4 .

(4) ينظر عقائد الإمامية: ص 102.

(5) ينظر كشف الأسرار: ص 149.

(6) ينظر الشافي في شرح أصول الكافي: ص 49.

(7) ينظر نفحات القرآن: 10/9.

يعتبر الإيمان بالإمامة جزءاً من اصول الدين لا من فروع الدين⁽¹⁾.
 6- يقول السيد علي الحسيني الميلاني: [وإما ان الإمامة من أصول الديانات والعقائد ام هي من الفروع ؟ فالحق: انها من الأصول كالنبوة]⁽²⁾.
 7- يقول آيتهم العظمى عبد الحسين شرف الدين: [فعلم أنها ترمي إلى أن ولاية علي من أصول الدين كما عليه الإمامية]⁽³⁾، وقال: [وأن الإيمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان ، فيكون على هذا أخص من الإسلام ، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافا إلى ذلك فافهم]⁽⁴⁾.
 وبهذا الانحراف الخطير يكون علماء الشيعة قد وضعوا قضية الإمامة على مفترق طرق وجعلوها نقطة مفاصلة بينهم وبين غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، معيقين بذلك تحقيق حرص الجماهير المسلمة وحلمها في بناء الوحدة الإسلامية بين الغالبية العظمى من المسلمين من جهة وأفراد هذه الطائفة من جهة أخرى .. بل أصبح الشيعة بسبب ذلك أشبه بمن يعيش في عزلة تامة مقبلة وكان بينهم وبين الآخرين هوة سحيقة يستعصي بل يستحيل ردمها ما بقيت الإمامة فيهم بمفهومها الحالي.

وقد ترتبت على هذا الانحراف الخطير -التمثل بعدّهم الإمامة أصلاً من أصول الدين- نتيجة منطقية وبديهية وهي أن المخالف لهم في الإمامة يكون حكمه كحكم المنكر لباقي أصول الدين الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد، وبما أن حكم المنكر لأحد الأصول الثلاثة مجمع عليه بين المسلمين وهو الكفر والخروج من دائرة الإسلام، وعليه عدّ علماء الشيعة المخالف لهم في الإمامة كافر خارج عن دائرة الإسلام مستحق للخلود في نار الجحيم، ووقع اجماعهم على تخليد المخالف لهم

(1) ينظر المصدر السابق: ص12.

(2) ينظر الإمامة في أهم الكتب الكلامية: ص43.

(3) المراجعات لعبد الحسين شرف الدين ص260.

(4) الفصول المهمة في تأليف الأمة - لعبد الحسين شرف الدين ص13.

في الإمامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها كباقي الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين⁽¹⁾، حتى لو كان هذا المخالف موافقاً لهم في الإقرار بجميع أصول الدين الإسلامي الأخرى بل حتى لو كان ممن ينطق بالشهادتين ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان يحج البيت .. بمعنى أن هذه العبادات العظيمة والإقرار بأصول الدين الأخرى المجمع عليها بين جميع الفرق الإسلامية، لن تغني عن صاحبها شيئاً في نظر الشيعة إن أنكر الإمامة بمعناها عندهم، بل أن مصيره المحتوم في نظرهم، هو الخلود في نار الجحيم حاله كحال من لم يأت من الإسلام شيئاً أو يقرّ منه بأصل بل هو عندهم كمن لم يؤمن بالله أصلاً من المجوس والوثنيين !! وهذه حقيقة مؤلمة ليس فيها أي تقوّل أو مبالغة فلقد وقع اجماعهم على أن المخالف لهم في الإمامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها مع الكفار من اليهود والنصارى⁽²⁾ والملحدين من المجوس والوثنيين.

وإليك أخي القارئ طائفة من أقوال علمائهم الذين نقلوا إجماع علماء المذهب على هذا الحكم:

1- إن شيخهم المفيد نقل لنا إجماع الشيعة الإمامية على ذلك فقال تحت عنوان (القول في تسمية جاحدي الإمامة ومنكري ما أوجب الله تعالى للائمة من

(1) فالإجماع حاصل بينهم على ذلك سواء صرحوا به أم أضمروه إذ إن عدم تصريح بعض علمائهم لا يعني أبداً رفضهم لهذه العقيدة ومخالفتها بل كل علماء الشيعة مجمعين على هذه العقيدة - كما سننقله بنصوص علمائهم بعد قليل - وإن كان هناك مخالف لهذا الإجماع فليعلنوه لأهل السنة في كتبهم ومؤلفاتهم، وهيهات.

(2) بل أن هناك روايات تثبت أن المخالف للشيعة في الإمامة مصيره في الآخرة لا يساوي مصير اليهود والنصارى في شدة العذاب بل أشد من عذابهم وإليك ما صرح به علامتهم محمد حسن النجفي حول توجيهه للروايات التي تضمنت ذلك فقال في كتابه (جواهر الكلام) الذي يعد مفخرة الفقه الشيعي ج 36 ص 93-94: [وعلى كل حال فمنشأ هذا القول من القائل به استفاضة النصوص وتواترها بكفر المخالفين وأنهم مجوس هذه الأمة وشر من اليهود والنصارى التي قد عرفت كون المراد منها بيان حالهم في الآخرة]، وقال أيضاً بنفس الكتاب ج 30 ص 97: [فوجب حينئذ حمل على النصوص على ذلك، نحو ما دل على أنهم كفار، وأنهم شر من اليهود والنصارى أي في الآخرة]، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى دراستنا المشار إليها بعنوان (موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين).

فرض الطاعة): [واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة⁽¹⁾ وجدد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار]⁽²⁾.

2- ينقل علامتهم زين الدين العاملي الملقب بالشهيد الثاني إجماعهم على ذلك فقال: [ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار]⁽³⁾

3- قال عمدتهم وفيلسوفهم نصير الدين الطوسي: [أن الإمامية قد تقرّدوا بأن دخول الجنة والنجاة لا يكون إلا بعد ولاية آل محمد عليهم السلام واعتقاد إمامتهم، وأما باقي الفرق الإسلامية، فقد أطبقوا على أن أصل النجاة هو الإقرار بالشهادتين]⁽⁴⁾ ⁽⁵⁾

4- يذكر علامتهم وآيتهم العظمى عبد الحسين الموسوي - صاحب المراجعات - أن أخبار الشيعة لا تثبت النجاة يوم القيامة لجميع الموحدين بل هي مخصصة بمن يعتقد بالولاية والإمامة، ومن ثم فهي تحكم على باقي الموحدين من عدا الإمامية بالخلود بالنار حيث قال: [وإن عندنا صحاحاً أخر فرنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر .. فهي السنة التالية للكتاب، وهي الجنة الواقية من العذاب، وإليها في أصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر لأهل الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر لكنها تخصص ما سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة ... ولا غرو فإن ولايتهم من أصول الدين]⁽⁶⁾

(1) وفي هذا تخصيص أشد وأنكى من مجرد إنكار الإمامة، بل أن منكر شخص أحد الأئمة (حتى

وإن اعترف بالإمامة كأصل) يُعدّ في نظر علماء الشيعة كافراً ضالاً يستحق الخلود في النار!!

(2) أوائل المقالات - الشيخ المفيد ص 44.

(3) ينظر بحار الأنوار للمجلسي (368/8).

(4) فأَي الفريقين أهدى سبيلاً وأناى عن بث الفرقة والعداوة بين المسلمين؟! من يجمع المسلمين على

مجرد الإقرار بالشهادتين أم من يرميهم بالكفر والضلال ويوجب لهم الخلود في نار الجحيم ما لم

يوافقوه على مذهبه ومعتقده في الإمامة؟! فهذه شهادة أحدهم، وليسمع دعاة الوحدة والتقريب!!!

(5) نور البراهين - السيد نعمة الله الجزائري ج 1 ص 64.

(6) ينظر الفصول المهمة لعبد الحسين شرف الدين ص 32.

5- يقول المرتضى الملقب عندهم بعلم الهدى حول تكفير من لا يؤمن بإمامة أئمتهم الاثنى عشر في رسالته (الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة): [أما يدل أيضا على تقديمهم عليهم السلام وتعظيمهم على البشر أن الله تعالى دلنا على أن المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى في أنها إيمان وإسلام ، وأن الجهل والشك فيهم كالجهل به والشك فيه في أنه كفر وخروج من الإيمان ، وهذه منزلة ليس لأحد من البشر إلا لنبينا صلى الله عليه وآله وبعده لأمر المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده على جماعتهم السلام والذي يدل على أن المعرفة بإمامة من ذكرناه عليهم السلام من جملة الإيمان وأن الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان ، (إجماع الشيعة الإمامية على ذلك ، فإنهم لا يختلفون فيه)⁽¹⁾

6- يقول شيخ طائفهم الطوسي: [بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي إذا سألك سائل وقال لك: ما الإيمان؟ فقل: هو التصديق بالله و بالرسول وبما جاء به الرسول والأئمة عليهم السلام . كل ذلك بالدليل ، لا بالتقليد ، وهو مركب على خمسة أركان ، من عرفها فهو مؤمن ، ومن جهلها كان كافرا ، وهي : التوحيد، والعدل ، والنبوة والإمامة ، والمعاد]⁽²⁾، وقال في نفس الكتاب ص317: [مسألة : عن قوله النبي صلى الله عليه وآله : " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية " وقوله صلى الله عليه وآله : " من مات بلا وصية مات ميتة جاهلية " وهذا تفاوت لا يجوز عليه ، لان الجهل بالإمام يخرج عن الإيمان ، و من صحّت عقيدته وحسنت أعماله ، واخطأ في ترك الوصية لا يخرج بذلك عن الإيمان ، فما الكلام في ذلك إذا اتفقت العبارتان واختلفتا في المعنى ؟ . الجواب : الجهل بالإمام كفر وقد استفسروا عنه فقالوا هو ميتة كفر و ضلال] .

7- يقول محققهم الكركي: [بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في التتميم الحمد لله والصلاة على رسوله محمد وآله الأطهار . يجب على كل مكلف حر وعبد، نكر

(1) رسائل المرتضى - الشريف المرتضى ج2 ص 251-252.

(2) الرسائل العشر- الشيخ الطوسي ص 103.

وأنتى، أن يعرف الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان ، وهي: التوحيد، والعدل ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد ، بالدليل لا بالتقليد. ومن جهل شيئاً من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين واستحق العقاب الدائم مع الكافرين [1].

وبالفعل طَبَّقُوا هذا الانحراف عملياً في أرض الواقع على مخالفيهم في الإمامة من جميع المسلمين والمتمثل بتكفيرهم ولعنهم والحكم عليهم بالنار، ولذا طالبت دعوى التكفير الموبوءة عند الشيعة لتتال المسلمين مهما عظمت منازلهم فكفَّروا بسببها خير البشر بعد الأنبياء وهم صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم خيرهم وأفضلهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم [2].

وهذه -على سبيل المثال لا الحصر- طائفة من أقوال علمائهم في هذا:

1- يقول محقق الشيعة الإمامية علي بن الحسين بن عبدالعالي الكركي: [وأي عاقل يعتقد تقديم ابن أبي قحافة وابن الخطاب وابن عفان الأديباء في النسب، والصعاب، الذين لا يعرف لهم تقدم ولا سبق في علم ولا جهاد ... والبسوا أشياء أقلها يوجب الكفر، فعليهم وعلى محبيهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين] [3].

2- يقول خاتمة محدثي الشيعة الإمامية محمد باقر المجلسي: [أقول: الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما، وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم، أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في مجلدات شتى وفيما

(1) رسائل الكركي - المحقق الكركي ج1 ص59.

(2) سبب تكفيرهم للصحابة يعود لكونهم عمدوا إلى الشورى في تنصيب الإمام أولاً، ثم لأنهم رضوا بتنصيب غير علي رضي الله عنه ثانياً، وهذا خلاف معتقد الشيعة في الإمامة لأنها عندهم غير خاضعة للشورى بل واجبة بالنص لأشخاص معلومين ذواتاً وأسماءً بدءاً بعلي رضي الله عنه .. وأما تخصيص الخلفاء الراشدين الثلاثة بالتكفير والذم أكثر من غيرهم فلأنهم كما يرى الشيعة أول من ترجم القول بإنكار الإمامة إلى فعل بتوليهم منصب الخلافة- الإمامة- دون صاحبها الشرعي- في نظرهم - علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. فموقف الشيعة إذاً من هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم هو موقف عقائدي بحت، لا كما يحاول أن يصوره بعض المكفرة منهم أو المتميعين من أهل السنة على أنه خلاف سياسي ليس إلا !!

(3) رسائل الكركي - المحقق الكركي ج1 ص62.

أوردناه كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم⁽¹⁾.
 3- وأخيراً يصف شيخهم المفيد الصحابة الذين تقدموا على علي رضي الله عنه في تقلد منصب الخلافة (وهم أبا بكر وعمر وعثمان) بأنهم فساق ومستحقون للخلود بالنار فقال تحت عنوان (القول في المتقدمين على أمير المؤمنين - على بن ابي طالب عليه السلام -): **[واتفقت الامامية وكثير من الزيدية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين⁽²⁾ - ع - ضلال فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين - عليه السلام - عن مقام رسول الله - صلوات الله عليه وآله - عصاة ظالمون، وفي النار بظلمهم مكدون]**⁽³⁾.

ثم ألحقوا بهم بالكفر كل من تبعهم ورضي بإمامتهم وترضى عنهم من باقي المسلمين في جميع الأزمان كالتابعين وأئمة المذاهب الأربعة -أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل- وباقي أهل السنة بجميع فرقهم ومذاهبهم⁽⁴⁾ إلى قيام الساعة.

ونظراً لهذا الانحراف الخطير الذي سلكه علماء الشيعة في قضية الإمامة . بجعلها أصلاً من أصول الدين وتخليد من لا يعتقدونها في نار جهنم . راح أهل السنة والجماعة ينظرون إلى الشيعة معتقدهم في الإمامة نظرة أكثر جدية⁽⁵⁾ وأكثر موضوعية، معتبرين إياها خطراً حقيقياً يهدد وحدة الأمة الإسلامية وغزواً عقائدياً جارفاً لا يستهان به أبداً، كونها دعوة عظيمة لتكفير جميع أهل القبلة كدعوى الخوارج تماماً، إذ لا مهادنة عندهم للمخالف ولا متسع لحرية الرأي.. فإما أن توافقهم فتواخي وإلا فأنت مخالف مُخد في نار الجحيم وإن كنت من أهل القبلة ممن يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم

(1) بحار الأنوار جزء 30 ص 399.

(2) ويقصد بهم الذين تقدموا على علي ؑ بمنصب الخلافة وهم ابو بكر وعمر وعثمان ؑ.

(3) أوائل المقالات- الشيخ المفيد ص 41-42.

(4) ولي في بيان موقف الشيعة من جميع فرق المسلمين دراسة وافية شافية لا غنى للمتخصص من الإطلاع عليها وهي بعنوان (موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين).

(5) من نظرتهم السابقة على أنها نظرية عقلية اجتهد بها أصحابها ولا تخرج المختلفين فيها من دائرة الإسلام الواسعة الرحبة.

رمضان وتحج البيت .. وتوحدت جهود بعض علماء السنة- ممن وعى خطر هذه الدعوة الهدامة المقيتة - في الرد على أصحابها وإبطال عقائدهم والتي في مقدمتها الإمامة .. وراحوا يحذرون المسلمين منها حتى يسلم لهم دينهم بعيداً عن التشويه والانحراف الهدام، وكان هذا هو نفس السبب الذي دفعني بقوة إلى دراسة هذه النظرية دراسة وافية بأدلتها وتفصيلاتها .. وقد اتخذت تلك الدراسة محاور رئيسية ثلاث هي:

المحور الأول: مناقشة الأدلة النقلية التي حاولوا أن يدعموا بها معتقدتهم .

المحور الثاني: مناقشة الأدلة العقلية التي حاولوا أن يدعموا بها معتقدتهم .

المحور الثالث: بيان النتائج التي ترتبت على قولهم بالإمامة ومن ثم تقييمها من خلال عرضها على الشرع والعقل فإن حكما ببطلان تلك النتائج فإنه سينسحب قطعاً على بطلان أصل الإمامة، لأن فساد النتيجة معناه فساد المقدمة التي قادت إليها، وفساد اللازم معناه فساد الملزوم.

ورأيت أن جُلَّ ما كُتب لرد معتقد الشيعة في الإمامة لا يخرج عن هذه المحاور الثلاثة، وكما أن الكتابة في المحور الأول والثاني مهمة جداً لتفنيدها إلا أنني رأيت أن الكتابة في المحور الثالث لها نفس الأهمية وربما تزيد، لأن غالب المسلمين لا يملك القدرة على هضم الأدلة ومناقشتها ومن ثم الترجيح بينها لمعرفة الحق من الباطل، ولكنه يستطيع وببسر أن يحكم على قضية الإمامة بالفساد إذا عَلِمَ أنها تؤدي إلى نتائج باطلة يرفضها الشرع والعقل، لأنها لو كانت حقاً لكانت جميع النتائج المترتبة عليها حقاً أيضاً، فمن هذا المنطلق اخترت كتابة هذه الدراسة في المحور الثالث لبيان إحدى النتائج الخطيرة التي أنتجتها قضية الإمامة عند الشيعة، ليرى القراء ببسر وسهولة - بعيداً عن تحليل الأدلة العقلية والنقلية والرد المفصل - أن قضية الإمامة ستقود إلى نتيجة ليست باطلة فحسب بل وتشكل خطراً حقيقياً على دين الإسلام والتشكيك بأصوله المحكمة، مما يجعل العقلاء يرفضونها جملةً وتفصيلاً، ولعل أنصارها بعد أن يتدبروا هذه الدراسة أن يعيدوا النظر في تقييمها من خلال النتائج التي أفرزتها.

نسأل الله تعالى أن يرينا وجميع المسلمين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويوفقنا لاجتنابه، إنه سميع مجيب .

المقدمة

كما ذكرت في التمهيد، ليس المقصود بهذه الدراسة مناقشة أدلة الشيعة التي احتجوا بها لإثبات نظريتهم في الإمامة- والتي أوجبوا فيها وجود إمام معصوم في كل عصر- بل هو الكشف عن إحدى النتائج الخطيرة التي ترتبت على قولهم بها، وأصل الداء أن الشيعة في معرض إثبات معتقدتهم قدّموا العقل على النقل (الشرع)، فساقوا عدة مقدمات عقلية جعلوها أصولاً اعتمدها في مجال تقرير العقائد وإثباتها⁽¹⁾، ومنها وأهمها عقيدة الإمامة التي نحن بصدد الحديث عنها، ورغم علمي

(1) وذلك عند بياننا لأصلين مهمين اعتمدها علماء الشيعة في تقريراتهم العقلية .

بفساد هذا المنهج⁽¹⁾، إلا أنني اعتمدته نفسه في بيان فساد معتقدهم ذلك، لا لشيء إلا لأبَيِّن للمسلمين أن عقيدة الإمامة تحمل مقدمات نهايتها معها، ولذا عمدت إلى اعتماد نفس الأصول العقلية التي اعتمدها الشيعة في تقرير الإمامة، وبالفعل فقد رأيت أن هذه الأصول العقلية يكمن فيها وبين تفاصيلها خطر عظيم يهدد بدوره أصلاً مهماً من أصول الدين الإسلامي الحنيف يتعلق بعقيدة ختم النبوة، الأمر الذي يعني بالضرورة فسادها - أي تلك الأصول - وفساد عقيدة الإمامة التي نشأت عنها وانبتقت منها، ويقدم بوضوح الصورة المهترئة لها بما ينبئ بالنهاية النكدة التي لا بد أن تقول إليها .. ومعنى ذلك أننا إذا انسقنا وراء نفس المقدمات العقلية التي انساق إليها الشيعة في إثبات الإمامة فإننا نصل في نهاية المطاف إلى نفس أصل ختم النبوة، وبمعنى آخر ينبغي على كل من آمن بالإمامة كأصل وعقيدة أن يؤمن بالتلازم بعقيدة باطلة يقيناً هي عقيدة الطائفة القاديانية الفاسدة القاضية باستمرار النبوة بعد نبينا محمد ﷺ، إذ كلتا العقيدتين تنهلان من نفس المصدر لأنهما تستندان إلى نفس المقدمات العقلية كما سيتبين للجميع لاحقاً.

وقد اعتمدت في عرض مادة الدراسة أسلوب المناظرة التخيلية⁽²⁾ بين شخصين أحدهما شيعي والآخر قادياني وكلاهما يعتمد نفس أسلوب الاستدلال العقلي في إثبات معتقده ويستند إلى نفس المقدمات في تقريراته، كما يؤكد أن الناظر لدعوتيهما بإنصاف يجد يقيناً أنهما دعوتان تصدران من مشكاة واحدة ولا تختلف إحداها عن

(2) كون الأصل المعتمد عندنا نحن أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ المقطوع بصحتها.

(1) لست بدعاً في هذا الأسلوب لنقض الباطل، فقد سبقني إليه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حين استخدمه بين أصحاب الدعاوي الباطلة لنقض بعضها ببعض، مثل المناظرة التي ساقها بين جبري (معتقد الجبر في الأفعال) وقدري (معتقد أن الإنسان خالق فعله) في كتابه (شفاء العليل)، إضافة إلى مناظرات شبيهات لها في كتابه (الصواعق المرسله).

الأخرى إلا بالمسمى في حين أنهما تلتقيان في الفكرة والمضمون⁽¹⁾، بل أن عقيدة الإمامية لدى الشيعة تعتبر الخطوة الأولى لنقض عقيدة ختم النبوة فهي - كما سيظهر في هذه الدراسة - تعتبر الجسر الذي سيستخدمه القاديانيون للوصول إلى عقيدتهم القاضية باستمرار النبوة، وكما سيد القارئ من خلال مقارنة أقوال أصحاب العقيدتين، فإن القاديانيين اعتمدوا على معظم بل جميع المقدمات التي اعتمدها الشيعة لكنهم اختلفوا معهم في تسمية ما نتج عن تلك المقدمات، فالشيعة أَسْمَوْهُ وجوب وجود إمام معصوم والقاديانية أَسْمَوْهُ وجوب وجود نبي - والعياذ بالله -

(2) لا أنكر أنني ترددت بعض الشيء في كتابة هذه الدراسة لورود احتمال حصول مفسدة ما في عرض فكرة غريبة - معتقد القاديانية - على مجموع المسلمين ممن هم حالياً في منأى عنها وبعُد، ولكني بعد التأمل في الأمر وجدتُ أن ترددي هذا ناتج عن وهم بعيد ولا مبرر له لأمرين هامين: **الأول**: أن فساد عقيدة القاديانية أظهر من أن يحتاج إلى دليل لنقضها، بل ليس هناك خشية على القارئ في أن يقع في قلبه شيء من شبهاتها، لأن كفر قائلها أظهر من الشمس في رابعة النهار، ولمزيد من الاطلاع ينظر كتاب (عقيدة ختم النبوة) لمؤلفه المعاصر أحمد بن سعد الغامدي الذي أسهب بذكر الأدلة على ختم النبوة ورد على باقي الفرق المنكرة لها بما فيها القاديانية، **الأمر الثاني**: أن ذكر دعوى استمرار النبوة عند القادياني ضروري جداً لنقض دعوى استمرار وجود معصوم عند الشيعة، حيث أن فيها إلزاماً قوياً للإمامي الذي ينكر على القادياني دعوته أن يتبرأ هو أولاً من دعوته للتلازم الواضح - والذي سيراه القارئ بنفسه - بين الدعوتين .. بل ان الناظر للدعوتين بتجرد، وكما سيتبين من خلال المناظرة، يرى بجلاء أن حجة القادياني على دعواه أقوى بكثير من حجة نظيره الإمامي في إثبات إمامته - هذا طبعاً في ضوء التسليم الجدلي بموضوع المناظرة لأن الحق الذي نؤمن به جميعاً هو فساد كلتا الدعوتين لفساد أصل كل منهما كما سبق في اعتمادهما التقرير العقلي في إثبات عقيدتهما وتأويل النص الصريح ليوافقه، مخالفين بذلك منهج أهل السنة في اعتماد النص الشرعي لتقرير وإثبات العقائد وجعل العقل تابعاً ومؤيداً له . لهذا السبب بالذات، آثرت المصلحة المؤكدة - المتمثلة بنقض نظرية الإمام المعصوم وإبطالها - على المفسدة الموهومة في احتمال زج القارئ بشبه القاديانية الكافرة.

وهذا الاختلاف لا يتعدى كونه خلافاً لفظياً بين الاثنین إذ لا فرق حقيقي بين صفات إمام الشيعة المعصوم ونبي القاديانية، فكلاهما وجهان لعملة واحدة⁽¹⁾. ولا بد من التأكيد هنا أن هذا الكلام ليس فيه - كما قد يسيء البعض الفهم - شيء من الاتهام لعلماء الشيعة بالتقديم والتمهيد المقصود لعقيدة استمرار النبوة أو بالسعي المخطط له لهدم عقيدة ختم النبوة، بل أن فيه إرادة التنبيه عن الخطر الكامن في عقيدتهم الذي قد يستغله آخرون لبث عقائد أخرى فاسدة، لعل عقلاء المذهب أن يتنبهوا له فيخذروه وأن يتحلوا بالشجاعة المطلوبة للرجوع عن الخطأ والعودة إلى جادة الحق والصواب، إن كان لديهم الحرص الكافي للحفاظ على وحدة وسلامة بنائنا الإسلامي العظيم.

وبعد هذه المقدمة أسأل الله تعالى أن يجعل هذه الدراسة في ميزان حسناتي لأنني أردت أن أدافع بها عن الإسلام وعن هذا الأصل العظيم وهو ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ رزقنا الله شفاعته وتقبل منا أعمالنا إنه أرحم الراحمين.

(1) ومثل هذه النظريات العقيمة وغيرها كثير تبين مدى الشر الكبير الذي وقع على الأمة من جراء تقديم العقل على النقل وجعله حاكماً متنوعاً والثاني (النقل) تابعاً مؤولاً - كما سنذكر ذلك في الفصل الرابع - ولأن العقول متفاوتة فيما بينها من حيث الإدراك والتقرير، نرى أن كل فرقة منهم تدعي أن قولها صحيح بصريح العقل ومن عداها باطل، وتراهم يؤصلون أقوالهم بعقولهم ثم يبحثون له عن دليل يؤيده ويعضده من الشرع، جاعلين العقل هو الأصل والنقل (النص الشرعي) تابعاً له، وهذا ما سيلمسه القارئ بنفسه من خلال المناظرة المتخيلة بين القادياني والإمامي الشيعي حيث أن كلا منهما يستدل بالعقل على صحة قوله تاركين الشرع جانباً إلا عندما يراد منه تقوية تقريرهم العقلي بالأدلة بعد تأويله بما يخدم تلكم التقريرات.

الفصل الأول

نبذة مختصرة عن القادياني والقاديانية

الفصل الأول

لقد ظهرت القاديانية في أواخر القرن التاسع عشر المسيحي في الهند بعد استقرار الحكم الإنكليزي فيها وهي ثورة على النبوة المحمدية- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- وعلى الإسلام كله، مؤامرة دينية وسياسية، إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام ففي الحركة الإسماعيلية الباطنية التي تولّى كبرها عبيد الله بن ميمون القدّاح في القرن الثالث الهجري⁽¹⁾، ولقد تبنتها الحكومة الانكليزية

(1) وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى-أي القاديانية- في أصالة الفساد ودقة المؤامرة في معاداة الإسلام.
 (2) لذا كانت الدعوة القاديانية ورجالها من أكبر المؤيدين للسياسة الإنكليزية في المنطقة والمزّمرين لها.

واحتضنتها⁽¹⁾، وساعدتها العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها على الانتشار سريعاً رغم بعدها عن الإسلام، فأصبح معتقوها طائفة كبيرة يحسب لها حساب، وغدت "قاديان" مركز دعوة ودعاية وسياسة يُقبل عليها ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين - الثقافة العصرية - ورجال الدولة، ولقد اقتصر نشاط دعائها على عقد المناظرات التي انصبّ هدفها على إثارة الشكوك والشبهات بين المسلمين ونشر الدعاية لعقيدتهم الخاصة داخل الهند وخارجها، وبعد انقسام الهند عام 1947م وظهور باكستان كدولة مستقلة، فرضت الحكومة الإنكليزية التي كانت قائمة آنذاك، القادياني ظفر الله خان على باكستان كوزير للخارجية، ولقد انتهز هذا الأخير صلاحيات منصبه بكل دهاء وعزم، فشن الوزارة الخارجية والمفوضيات في عواصم العالم بالقاديانيين ودسّهم في مصالح الحكومة الأخرى وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين، ثم راحوا ينخرطون بكثافة في صفوف الجيش الباكستاني واحتلوا مناصب خطيرة فيه وفي أجهزة الدولة المهمة كالشرطة ومصلحة الطيران، بل قد كوّنوا إمارة في بنجاب تسمى الربوة هي في حقيقتها مستعمرة قاديانية لا يوظّف فيها إلا القادياني⁽²⁾ ولا يعلو صوت فيها فوق صوته وكأنها دولة داخل الدولة، ولم يقتصر نشاط رجال الدعوة على منطقة شبه الجزيرة الهندية بل تعدّاها إلى دول ومناطق أخرى في العالم وخصوصاً إلى البلدان العربية الإسلامية، فصار لها حضور في العراق وسوريا، وانتشار في إندونيسيا، ولها طموح قوي وحلم عريض في أن يكون لها وجود ملموس وقوي في جزيرة العرب مهد الإسلام وعاصمة نبينا محمد ﷺ، بل في مكة والمدينة على وجه الخصوص - شرفهما الله تعالى وأعادهما من كل فتنة وإلحاد - ثم بدأت هذه الدعوة تعني بالجهات القاصية في قارة إفريقيا والدول الإسلامية الناشئة، ولم تضيّع أية فرصة أتاحت لها لنشر دعايتها وتوجيه دعوتها في المؤتمرات السياسية والندوات العلمية العالمية والمؤسسات الدينية الكبرى.

أما مؤسسها فهو الميرزا غلام احمد القادياني ولد عام 1839 أو 1840 في آخر عهد

(3) ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان بإسرائيل في فلسطين، فكلاهما جاثم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد.

حكومة السكة في بنجاب في قرية قاديان من مديرية "كرداسبور" الواقعة بعد التقسيم في الهند وكان في السابعة عشرة من عمره يوم نشبت الثورة الهندية الكبرى، وينتمي الميرزا غلام الى السلالة المغولية والى فرع من فروعها يسمى "برلاس" وقد ظهر له متأخراً انه من النسل الفارسي، وقد تحدى الميرزا عام 1907 العالم المشهور بمولانا ثناء الله الامري تسري وضمن تحديه اياه بالدعاء إلى الله تعالى ان يقبض المبطل في حياة صاحبه وان يسلط عليه داءً مثل الهیضة والطاعون يكون فيه حتفه، وفي شهر مايو 1908 اصيب الميرزا بالهیضة البوائية وهو في لاهور وأعيا الاطباء داؤه ومات في الساعة العاشرة والنصف صباحاً وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من مايو سنة 1908 ونقلت جثته الى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة "بهشتي مقبرة"⁽¹⁾.

نماذج من كفره وهذيانه:

سنقتصر هنا على بعض تصريحاته للاختصار فمنها:

- 1- يقول في (دافع البلاء) ص11: [هو الإله الذي ارسل رسوله في قاديان].
- 2- قال في تتمة (حقيقة الوحي) ص68: [والذي نفسي بيده انه ارسلني وسماني نبي].
- 3- قال في (اياك غلطي كما ازاله) ص8: [ان زهاء مائة وخمسين بشارة من الله وجدتها صادقة الى وقتنا هذا، فلماذا انكر اسمي نبياً ورسولاً، وبما ان الله هو الذي سماني بهذه الاسماء فلماذا اردها، او لماذا اخاف غيره؟].
- 4- قال في هامش (حقيقة الوحي) ص72: [ان الله تعالى مظهراً لجميع الانبياء ونسب الي اسماءهم، انا آدم، انا شيت، انا نوح، انا ابراهيم، انا اسحاق، انا اسماعيل، انا يعقوب، انا يوسف، انا عيسى، انا موسى، انا داود، وانا مظهر كامل لمحمد ﷺ أي انا محمد واحمد ظلياً].
- 5- قال في (اياك غلطي كزاله) ص1: [قبل بضعة ايام اعترض مخالف على رجل من اتباعي بأن الذي بايعته يدعي انه نبي ورسول، فأجابه بالنفي المحض، مع

(1) نقلاً عن كتاب القادياني والقاديانية للندوي بتصرف .

ان هذا الجواب غير صحيح، والحق ان وحي الله الطاهر الذي ينزل عليّ جاء فيه لفظ "رسول" و "مرسل" و "نبي" وليس مرة واحدة بل مئات المرات، فكيف يصح هذا الجواب].

6- يقول في (براهين احمدية) ج 3 ص 239-242: [لقد الهمت آنفاً وانا اعلق على هذه الحاشية وذلك في شهر مارس عام 1882م ما نصه حرفياً: يا أحمد بارك الله فيك، ما رميت اذ رميت ولكن الله رمى، الرحمن علم القرآن، لتتذر قوماً ما انذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين قل اني امرت وانا اول المؤمنين، قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً، كل بركة من محمد ﷺ، فتبارك من علم وتعلم، قل ان افتريته فعليّ اجرامي، هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، لا مبدل لكلمات الله... انا كفيناك المستهزئين يقولون انى لك هذا إلا قول البشر واعانه عليه قوم آخرون، أفتأتون السحر وانتم تبصرون هيهات هيهات لما توعدون من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين، جاهل او مجنون قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين، هذا من رحمة ربك، يتم نعمته عليك ليكون آية للمؤمنين انت على بينة من ربك فبشر وما انت بنعمة ربك بمجنون، قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.. الى ان قال: اني رافعك الي، والقيت عليك محبة مني، لا إله إلا الله فاكتب وليطيع وليرسل في الارض، خذوا التوحيد التوحيد يا ابناء فارس، وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم، واتل عليهم ما اوحى اليك من ربك، ولا تُصعّر لخلق الله ولا تستم من الناس اصحاب الصفة وما ادراك ما اصحاب الصفة، ترى اعينهم تفيض من الدمع يصلون عليك، ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان، وداعياً الى الله وسراجاً منيراً].

7- قال في (براهين احمدية) ج 4 ص 509: [اذا قيل لهم امنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، ويحبون ان تدهنوا، قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون، قيل ارجعوا الى الله فلا ترجعون، وقيل استحوذوا فلا تستحوذون ام تسألهم من خرج فهم من مغرم مثقلون، بل أتيناهم بالحق فهم للحق كارهون، سبحانه وتعالى عما يصفون، أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، يحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا، ولا يخفى على الله خافية، ولا يصلح شيء قبل اصلاحه].

8- قال في (تحفة الندوة) ص4: [فكما ذكرت مراراً ان هذا الكلام الذي أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة، وانا نبي ظلي وبروزي من انبياء الله، وتجب على كل مسلم ان يؤمن بانبي الموعود، وكل من بلغته دعوتي فلم يحكمني، ولم يؤمن بأني المسيح الموعود، ولم يؤمن بان الوحي الذي ينزل عليّ من الله، هو مسؤول ومحاسب في السماء وان كان مسلماً، لانه قد رفض الامر الذي وجب عليه قبوله في وقته، انني لا اقتصر على قولي ان لو كنت كاذباً لهلكت، بل اضيف الى ذلك انني صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد عليه الصلاة والسلام، وقد انزل الله لتصديقي آيات سماوية تربي على عشرة آلاف، وقد شهد لي الرسول وقد عيّن الانبياء زمان بعثتي وذلك هو عصرنا الآن، والقرآن يعين عصري، وقد شهدت لي السماء والارض وما من نبي إلا وقد شهد لي].

9- قال في (حقيقة الوحي) ص9: [لقد حُرِمَ الذين من الاولياء والابدال والاقطاب من هذه الامة المحمدية النصيب الكبير من هذه النعمة (يعني الالهامات والمكالمات الالهية) ولذلك خصني الله بإسم النبي، اما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم].

وأعتقد أن القارئ قد جزم بأن هذا الكلام لا يصدر من عاقل أبداً بل من رجلٍ مختل عقلياً أو ممن تلبّست به الجن والشياطين فنطقت على لسانه. نسأل الله تعالى أن يحفظ لنا عقولنا من الجنون والمس.

الفصل الثاني

ختم النبوة من منظار أهل السنة

إن من مبادئ الإسلام - بعد الإيمان بالتوحيد والبعث بعد الموت - أن محمداً ﷺ قد ختم به الله النبوة، وأن لا نبي بعده ولا وحي ولا إلهام بعده يكون حجة شرعية، وهذه العقيدة هي المعروفة بـ " عقيدة ختم النبوة " في الإسلام والتي اعتبرتها الأمة الإسلامية منذ عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا جزءاً من الإيمان من غير أدنى خلاف، إذ دلت عليه العديد من الآيات القرآنية الكريمة وجزمت به العشرات من الأحاديث النبوية الشريفة التي لا مجال معها أبداً لكل من يحاول تغييرها، لتقذف به بقوة إلى دائرة الكفر الصريح⁽¹⁾، وهذه مسألة قطعية مسلم بها وقد ألفت حولها العديد من الكتب المنشورة المتداولة بين الجميع، ولكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن النبي ﷺ كما أوضح عقيدة ختم النبوة في عشرات الأحاديث الشريفة أخبر أيضاً عن محاولون خرق هذا الحاجز أو هدم هذا الأصل، فأخبر ﷺ من ضمن ما أخبر به عن أشراط الساعة وعلاماتها ظهور أناس كذابون يدعون النبوة بعده فقال ﷺ: [لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله⁽²⁾]، وقال أيضاً: [أنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي⁽³⁾]، وفي أحد هذين الحديثين الشريفين نجد أن النبي ﷺ أطلق على مدعي النبوة لفظة " الدجال " ومعناه المخادع الشديد الخداع، منبهاً ﷺ أمته - من خلال هذه اللفظة - إلى أن هؤلاء الذين يدعون النبوة هم مخادعون يستعملون سلاح الدجل والتلبيس، متظاهرين بالإسلام ليحاولوا تغيير عقائده من الداخل بعد أن يلبسوا على بعض الجهلة أمرهم، وحتى يزرع ﷺ اليقين في نفوس أتباعه ختم حديثه بقوله (وأنا خاتم النبيين) ومعنى ذلك أن (لا نبي بعدي).

وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ، فظهر أناس كثيرون في التاريخ، ادعوا النبوة متظاهرين بالإسلام عاملين بالدجل والتلبيس لترويج دعواهم، ولكن أمة محمد ﷺ كانت لهم بالمرصاد دائماً وعلى بينة من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، فكان كلما ظهر متبئى وادعى النبوة

(1) في ذكر الآيات والأحاديث كلها تطويل لا داعي له هنا لأنها معروفة للجميع.

(2) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(3) رواه مسلم.

حكمت الأمة عليه بالكفر والخروج من دائرة الإسلام، وهكذا كلما قُدمت قضية المنتبئ الى حكومة إسلامية أو الى محكمة شرعية في القرون الماضية أصدرت الحكم بكفره لدعواه النبوة وعاملته معاملته الكفار، ولم تطلب منه دلائل النبوة، وهذا واضح في معاملة الصحابة رضي الله عنهم لمدعي النبوة في زمنهم كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح وطليحة والحارث وغيرهم، فالصحابه رضي الله عنهم حكموا عليهم بالكفر عاملوهم معاملة الكفار دون أن يسألوهم عن تأويلهم في عقيدة ختم النبوة، بل الأمر كله في نظرهم كان داخلاً في دائرة الدجل والتلبيس الذي حذر منه رسول الله ﷺ، وان قبول أي تأويل فيها يعني خرق بديهيات الدين وهدم عقائده (1).

وبالرغم من قطعية هذه العقيدة لدى جميع المسلمين وكونها من المعلوم من الدين بالضرورة، إلا أنها لم تسلم من هجمات الملحدين وشبهات المشككين لعلهم يزحزحوا هذه العقيدة في قلوب المسلمين كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: من الآية 121)

وقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 112)

فأخذوا يطرحون على المسلمين الشبهات من هنا وهناك لعلهم يحققوا مآربهم الأثيمة، وكان من أبرز تلك الشبهات والتشكيكات قولهم بأن قطع النبوة في هذه الأمة مع استمرارها في الأمم السابقة يتنافى مع العدل الإلهي لحاجة هذه الأمة إلى أنبياء آخرين حتى مع فرض عدم الحاجة الى شريعة جديدة تبقى الحاجة قائمة الى أنبياء يسدون سير البشرية وفق هذه الشريعة المحمدية ونصه:

[إن إرسال الأنبياء فيض إلهي عظيم، فلماذا حُرِمَ أناس في هذا الزمان من هذا

الفيض؟ لماذا لا يكون لأهل هذا الزمان هاد وقائد جديد يهديهم ويقودهم؟]

(1) نقلاً عن كتاب موقف الأمة الإسلامية من القاديانية بتصرف .

فهذه باختصار أبرز الشبهات التي يزعم أصحابها من خلالها وجوب بعث الأنبياء بعد نبينا ﷺ، ورأيت أن الجواب عن هذه الشبهة قد بادر إليه كل من أهل السنة والشيعة وبيان ذلك كما يلي:

جواب أهل السنة

يمكن تلخيص جواب أهل السنة بوجهين هما:

الوجه الأول:

إن مما تسالم عليه أهل السنة هو أن الانطلاق لتكوين المفاهيم يكون مستنداً إلى الشرع وليس العقل، وإن أي أمر يثبتته الشرع فلا بد أن نلتزم به سواء وافقه العقل أم خالفه في الظاهر⁽¹⁾، وعليه فإذا ما ثبتت قضية ختم النبوة بصورة قطعية من الشرع أخذنا بها برضا وتسليم دون أن نلتفت للشبهات التي تفرضها العقول المريضة الملتاثرة بوسوسة الشيطان الذي يوحى إلى أوليائه مثل هذه الشبهات لتشكيك المسلمين بما يقرره دينهم، لأننا يجب أن نكون مستيقنين تماماً بأن كل ما ثبت بالشرع هو حق وخير سواء علمنا الحكمة منه أم جهلناها⁽²⁾ وحول هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه الله (مختصر الصواعق المرسلّة) ص87: [كما قال بعض أهل الإيمان يكفيك من العقل أن يُعَرِّفَكَ صدق الرسول ومعاني كلامه ثم يخلي بينك وبينه، وقال آخر: العقل سلطان ولّى الرسول ثم عزل نفسه] وقال ص88: [لأن العقل قد شهد للشرع والوحي بأنه أعلم منه وأنه لا نسبة له إليه وأن نسبة علومه

(1) أقول "في الظاهر" لأن الأصل هو أن أي حكم قطعي شرعي لا يتعارض مع حكم عقلي مطلقاً، وهذا ما أثبتته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الرائع (درء تعارض العقل والنقل).
(2) لقد ورد في السنة النبوية ما يؤيد ذلك في حقيقة قصور العقل في إدراك جميع التقريرات الشرعية بادئ الأمر، وهذا واقع في العديد من القضايا التي تنقلها لنا السيرة النبوية إحداهما ما حصل في واقعة صلح الحديبية عندما فرض المشركون شروطاً مجحفة ومذلة في ظاهرها بحق المسلمين وافق عليها رسول الله ﷺ في حين وقف إزاءها المسلمون موقفاً رافضاً في بادئ الأمر لأن عقولهم حينها استصعبت قبول الإجحاف الذي تضمنته بنود الصلح، لكنهم مع ذلك وافقوا عليها في نهاية الأمر على مضض، فتركوا ما حكمت به عقولهم واتبعوا حكم رسول الله ﷺ حتى قال الصحابي سهل بن حنيف قولته الشهيرة لتأصيل هذا القانون الرياني القاضي بتقديم الشرع على العقل عند التعارض فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: [عن الاعمش عن شقيق قال سمعت سهل بن حنيف يقول بصفين أيها الناس اتهموا رأيكم والله لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أurd أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته] ينظر صحيح مسلم ج5 ص176 .

ومعارفه إلى الوحي أقل من خردلة بالإضافة إلى جبل... وقال: ان الشرع مأخوذ عن الله بواسطة الرسولين الملك والبشر بينه وبين عبادته، مؤيداً بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ويقتضيه تارة ويستحسنه تارة ويجوزه تارة ويضعف عن دركه تارة فلا سبيل له إلى الإحاطة به ولا بد من التسليم والانقياد لحكمه والإذعان والقبول، وهناك تسقط (لِمَ) وتبطل (كيف) وتزول (هلاً) وتذهب (لو، وليت) في الريح، لان اعتراض المعترض عليه مردود، واقتراح المقترح ما ظنّ انه أولى منه سفه، وجملة الشريعة مشتملة على أنواع الحكمة علماً وعملاً، حتى لو جمعت حُكْم جميع الأمم ونُسبت إليها لم تكن لها إليها نسبة، وهي متضمنة لأعلى المطالب بأقرب الطرق وأتم البيان...].

فهذه خلاصة الوجه الأول وهي بأننا لسنا ملزمين أن نبرر ما ثبت بالشرع بحيث نجعل تقريراته في قفص الاتهام ثم ننطلق لندافع عنها بل الأصل أن ما يأتي به الشرع هو الحق وما خالفه يكون في قفص الاتهام .

الوجه الثاني:

بعد أن بينا في الوجه السابق أن الشرع إذا ورد بحقيقة فلا نحتاج بعدها إلى فرضيات العقول ولسنا ملزمين بأن نجيب حول كل التساؤلات، إلا أننا في هذا الوجه سوف نتطوع من باب الناقله بأن نجيب حول هذا الإشكال في ضوء معتقد أهل السنة والجواب هو ان العلة ليست بوجود النبي من عدمها بل ببقاء شريعته وتعاليمه ثابتة دون انحراف فمتى ما حفظت الأمة تراث نبيها من الانحراف وصانته من التحريف فليس بها حاجة إلى نبي جديد لأن العبرة بشرع النبي وليس بشخصه فما دامت تعاليمه صحيحة بين الناس فكأنه بين أظهرهم بإرشاده وتبليغه وهذا ما نستطيع أن نلمسه في أرض الواقع بتمكّن المسلمين من التعبد بالشرع وعندهم الكتاب والسنة ولذا يخبرنا الله تعالى بأن الكتب السماوية السابقة التي هي مصدر التشريع الأول قد أخفي كثير منها مما تطلّب بعث الأنبياء ليبينوا الحق الذي أخفي وحرف فقال سبحانه:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾

(الأنعام: من الآية 91)

وقال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾
(المائدة: 15).

بينما نجد عناية الله تعالى بحفظ القرآن وأنه الحجة والنور الذي تستمد منه الهداية إلى قيام الساعة وقد اهتم به المسلمون وأقبلوا ينهلون منه الهداية والعلم والتشريع ليبقى حجة خالدة لله تعالى على خلقه إلى قيام الساعة كما قال تعالى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾
(الأنعام: من الآية 19).

وقال تعالى مبيناً كمال الدين بشكل لا نحتاج به إلى نبي جديد:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: من الآية 3).

فالدين إذاً محفوظاً وكاملاً لا نحتاج إلى من يكمله أو يحفظه لأن علة التحريف منتفية بشهادة الله تعالى، وهذه العلة غفل عنها أصحاب الاعتراض فظنوا أن غياب شخص النبي معناه عدم إمكان التبعيد والسير في ظل تعاليم شريعته، مع أن الحق هو إن بقاء شرع النبي ودينه سالماً وحفظته الأمة من الضياع والتحريف فلا حاجة لها إلى نبي جديد⁽¹⁾.

ولقد مدح الله تعالى هذه الأمة وصرح بأهليتها لوراثة الدين وتحمل أعباء نقل الدين والحفاظ عليه حيث قال سبحانه:

(1) وهناك كلام لبعض علماء الشيعة يثبتون به هذا المعنى الذي يقول به أهل السنة ويقرونه بكل صراحة ومنهم علامة الشيعة ابن المطهر الحلي في معرض شرحه لكلام فيلسوفهم ومحققهم النصير الطوسي بالحاجة للنبوة في كل وقت حيث قال: [المسألة السادسة: في وجوب البعثة في كل وقت قال: ودليل الوجوب يعطي العمومية]، إلا أن الحلي هدَّب هذه العبارة بقوله بحيث لا يجوز خلو الزمان من شرع نبي حتى لا يتهم باعتقاده بوجوب استمرار النبوة فقال: [وقال علماء الإمامية: إنه تجب البعثة في كل وقت بحيث لا يجوز خلو زمان من شرع نبي]، فأثبت أن بقاء شرع النبي يغني عن وجود شخص النبي في كل وقت ليوافق قول أهل السنة بكل صراحة، ومنهم شيخهم وآبئهم محسن الخرازي حيث أثبت بأن وصول دعوة النبي وشرعه تغنيان عن شخصه فقال في كتابه (بداية المعارف الإلهية) فقال (235/1): [ولا يلزم في بلوغ الدعوة وصول مبشرها، بل يكفي في بلوغها وقيام الحجة في لزوم النظر في أمرها مجرد وصول خبرها].

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: 32).

حيث يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (562/3): [يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد) هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب⁽¹⁾.

وقد وقفت على كلام رصين لموسى جار الله يصب في هذا المعنى في كتابه (الوشية) حيث قال: [كل ما أنعم الله به على نبيه من فضل ونعمة، وكل ما نزل من عرش الله العظيم إلى نبيه الكريم فكله بعده لأتمته، والأمة شريكة لنبيه في كل

(1) وهناك كلام لبعض علماء الشيعة يؤيد ما ذكره أهل السنة من أهلية الأمة الإسلامية وفضلها في حمل تراث نبينا محمد ﷺ، فمنهم:

1- ينقل شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة كلاماً قريباً من هذا في تفسيره للآية حيث قال: [وقال ابن عباس : الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمد ، ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسبهم حسابا يسيرا وسابقهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وقال ابن مسعود - بذلك - وكعب الاحبار وقال الثالث فرق - المذكورة في هذه الآية كلهم في الجنة]، ينظر تفسيره التبيان (430/8).

2- يقول فيلسوفهم صدر الدين الشيرازي في كتابه (الحجة) ص111 مؤكداً مدح الله تعالى لأمة نبيه محمد ﷺ: [فقال الله تشریفاً لكليمه موسى عليه السلام (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً) (لأعراف: من الآية145)، وقال تشریفاً لأتمته ﷺ (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (المجادلة: من الآية22)، فشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الألواح، وبين نبي تشرف أمته بكتابة الإيمان لهم في قلوبهم، والإيمان عبارة عن العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر، فما أعظم وأشرف قدرهم فضلاً عن قدر نبيهم؟!].

كمال كان له في حياته، ثم ورثته بعد مماته، وكل فضل وكل نعمة ذكرها القرآن لنبيه فقد ذكرها لأمته، ومثاله:

فقد قال سبحانه لنبيه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال عن أمته (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

وقال لنبيه (ويتم نعمته عليك) وقال لأمته (وأتممت عليكم نعمتي) وقال لنبيه (وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال لأمته (وإننا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وقال (وأثابهم فتحاً قريباً) وقال لنبيه (هو الذي أيدك بنصره) وقال لأمته (وأيدهم بروح منه) ولم يكتفِ سبحانه بإشراك الأمة لنبيها بتلك الفضائل بل زاد على ذلك في مواطن كلها فضل وتشريف لهذه الأمة منها:

1-الإصطفاء والاجتباء والذكر والتشريف

فقد قال سبحانه عن اصطفاء الملائكة والأنبياء (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس)، ثم ذكر تشريفه لأمته بهذا الفضل والاصطفاء حيث قال سبحانه (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ذكر الإيراث، والميراث تأخذه الأحياء بعد الأموات، والكتاب محفوظ إلى الأبد، فالأمة أحياء إلى الأبد، واصطفى سبحانه الأمة بنون العظمة بنفسه لنفسه ولم يكل الإصطفاء إلى غيره، وسائر الأمم لم تكن مصطفاة فانحرفت عن كتابها والأمة ببركة الإصطفاء لا تنحرف، وأضاف العباد إلى نون العظمة لقطع إمكان الإنحراف والضلال بالإغواء أو بغيره (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...) فلا يمكن الضلال في الأمة لأنها في حمى الله بنص آية سورة الحجر، وقد ذكر الإصطفاء بعد قوله تعالى (بعباده لخبير بصير) ومعلوم إن الإصطفاء بعد العلم بالأهلية لا زوال له.

وقال سبحانه عن الأنبياء السابقين قوله (واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ..) وذكر في هذه الأمة (وجاهدوا في الله حق جهاده.. اجتباكم .. نعم المولى ونعم النصير) فقد جعل سبحانه هذه الأمة بالاجتباء والاصطفاء في درجة

الأنبياء ولم يذكر في الأمم السابقة إلا التفضيل، والإصطفاء كلي يجمع كل الفضائل.

وأخبر أن هذا الكتاب فيه عز وتشريف النبي ﷺ فقال (لك ولقومك..) وقال في تشريف الأمة بقوله (فيه ذكركم) .

2- الشراكة بالشهادة

إن الله تعالى أشرك الأمة مع نبيها في الشهادة على الأمم فقال سبحانه (جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس...) .

3- الشراكة بالصلاة من الله والتسليم

وأشرك هذه الأمة مع نبيها في الصلاة فقال (يصلون على النبي..) وقال (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وصلاة الله وصلاة الملائكة على النبي وعلى أمته أرفع بكثير من سجود الملائكة لآدم عليه السلام في شأن التشريف، فكل الأمة في أحوالها يصلي ويسلم على النبي وعلى أمته، كل الأمة في كل صلواتها تسلم على النبي ثم تسلم على كل أمته، فالأمة في الشرف والكرامة مثل نبيها.

وأشركها مع نبيها في السلام منه سبحانه فقال (على عباده الذين اصطفى..) وقال (فقل سلام عليكم) .

4- الشراكة في الظهور والتمكين

فقد قال سبحانه لنبيه (هو الذي أرسل رسوله .. ليظهره على الدين)، وقال عن أمته (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض... بي شيئاً)، فقد أضاف الدين إلى الأمة وأكد التمكين بالقسم وقال (دينهم الذي ارتضى لهم) فدل على أن دين الأمة وسياسة الخلافة الراشدة بعد النبي ﷺ هو الذي ارتضاه لهم .

فهذه بعض الفضائل التي خص الله تعالى بها أمة نبيه ﷺ ثم قال موسى جار الله: [الأمة معصومة عصمة نبيها . معصومة في تحملها وحفظها . وفي تبليغها وأدائها . حفظت كل ما بلغه النبي مثل حفظ النبي . وبلغت كل ما بلغه النبي مثل تبليغ النبي . حفظت كليات الدين وجزئيات الدين أصلاً وفرعاً . وبلغت كليات الدين وجزئيات الدين أصلاً وفرعاً . لم يضع من أصول الدين ومن فروع الدين شيئاً . 1 - حفظه الله، 2- حفظه نبيه محمد، 3- حفظته الأمة : كافة عن كافة، عصراً بعد

عصر ، ولا يمكن أن يوجد شيء من الدين غفل عنه أو نسيه الأمة ... وكل حادثة إذا وقعت فالأمة لا تخلو من حكم حق وصواب وجواب يريه الله الواحد من الأمة التي ورثت نبيها وصارت رشيدة ببركة الرسالة وختمها ... وقد بلغت رشدتها ، ولها عقلها العاصم ، وعندها كتابها المعصوم ، وقد حازت بالعصوبة كل مواريث نبيها ، وفازت بكل ما كان للنبي بالنبوة . الأمة بعقلها وكمالها ورشدتها بعد ختم النبوة أكرم وأعز وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصي تبقى قاصرة إلى الأبد [،انتهى كلامه بتصريف يسير .

وينقل السيد أبو الحسن الندوي في كتابه (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن) قولاً نفسياً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حول فضل أمة محمد ﷺ التي أشرف على تربيتها بنفسه فداه أبي وأمي، فقال: [وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تصوير البعثة المحمدية وفضلها وانتاجها في كتابه (الجواب الصحيح) يقول رحمه الله: وسيرة الرسول ﷺ من آياته، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالحى أمته من آياته.. ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها، من الصدق والعدل والوفاء، لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم أحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم، وأمن وخوف، وغنى وفقر، وقلة وكثرة، وظهوره على العدو تارة، وظهور العدو عليه تارة، وهو على ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعه الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معاداً، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم، حتى ان النصرى لما رأوهم من حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض، وآثار غيرهم يعرف العقلاء الفرق بين الأمرين .

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله، ظهر أنهم

أعظم جهاداً وأشجع قلباً، وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم لغيرهم، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم، وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة، وكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة، وبعضها من الزبور، وبعضها من النبوءات، وبعضها من المسيح، وبعضها ممن بعده، كالحواريين ومن بعد الحواريين، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم، حتى أدخلوا. لما غيروا دين المسيح. في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح.

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود، والتوراة والانجيل والزبور إلا من جهته فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الانبياء ويقرأوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من رسله، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(البقرة:136). انتهى

فهذا جواب أهل السنة في رد هذه الشبهة بأن الأمة قد بلغت من النضج والعناية بدينها ما يغنيها عن الحاجة إلى نبي جديد⁽¹⁾ فهي قائمة مقامه في حفظ الدين وتبليغه إلى المعمورة.

(1) بل يغنيها عن الحاجة إلى معصوم جديد نبياً كان - على رأي القاديانية - أو إماماً - على رأي الشيعة - .

الفصل الثالث

ختم النبوة من منظار الشيعة

الفصل الثالث

سنعرض معتقد الشيعة في قضية ختم النبوة وموقفهم من الشبهة السابقة والتي نقلنا جواب أهل السنة عنها في الفصل السابق وذلك في عدة مطالب هي:

المطلب الأول: تبني علماء الشيعة لجواب أهل السنة في رد الشبهة

لقد تأملت جواب علماء الشيعة ومراجعهم لتلك الشبهة فوجدتهم ينقلون جواب أهل السنة المتقدم بعينه - باللفظ أو المعنى - بأن الأمة بعد رحيل النبي ﷺ بلغت من النضج الفكري ما يجعلها مؤهلة لتحمل هذا الدين وإيصاله إلى جميع المكلفين بما يغنيها عن نبي يحفظ لها هذا الدين ويبلغه، فمن هؤلاء العلماء الذين تبنّوا جواب أهل السنة ليثبتوا عدم الحاجة إلى نبي جديد⁽¹⁾ ما يلي:

(1) فمن علمائهم الذين تبنوا صراحة جواب أهل السنة هو آيتهم العظمى محمد باقر الصدر في رسالة بعنوان (النبوة الخاتمة) وذلك في معرض إثباته لقضية ختم النبوة بنبيينا محمد ﷺ وبرهنته عليها من

خلال استعراضه لأهم الأسباب التي تقضي ببعث الأنبياء في الأمم السابقة، مؤكداً انتقائها في أمة الإسلام ليخرج بعدم الحاجة إلى بعث نبي بعد نبينا ﷺ لانقضاء الأسباب التي تستوجب ذلك وهو بعينه ما أجاب به أهل السنة، وإليك أهم الأسباب التي ذكرها:

1- عدم بقاء شيء من تراث النبي يُهدى به:

بمعنى أن تراث النبي الذي وهو الذي عبارة عن شرعه الذي جاء به قد طالته يد التحريف فلا يُعدُّ صالحاً للتعبد به وفق مراد الله تعالى، مما يستوجب بعث نبي آخر ليستدرك ذلك، وهذا منتفٍ تماماً في أمة الإسلام إذ بقي تراث نبينا ﷺ محفوظاً بحفظ القرآن الكريم نوراً تهدي به البشرية، فقال ص42-44:

[من جملة الأسباب المعقولة لتغيير النبوة هو ألا يبقى منها تراث يمكن ان يقام على أساسه العمل والبناء، اذا افترضنا ان نبوة جاءت ومارست دورها في قيادة البشرية، وهدايتها، ووصلها بربها، وتطهيرها من شوائبها، إلا ان هذه النبوة بعد ان مات شخص النبي . تولدت ظروف، وانحرافات أكلت كل ذلك التراث الروحي، والمفاهيمي الذي خلفه ذلك النبي والذي قاد تلك المعركة . بقيت (النبوة) مجرد مسألة تاريخية وشعار غامض غائم باهت، دون ان يكون . هذا الشعار- معبراً عن أي كيان فكري مفاهيمي محدد في اذهان القاعدة الشعبية المرتبطة بتلك النبوة .

في مثل هذه الحالة .. لا يمكن ان تواصل هذه الدفعة الالهية المتمثلة في تلك النبوة عملها، لانها لا يمكن ان تواصل عملها بدون مصباح منير، بدون كتاب منير . على ما يصطلح عليه القرآن الكريم .، وهذا الكتاب المنير عبارة عن ذلك التراث الفكري، والمفاهيمي الذي يمثل القاعدة للعمل النبوي، ويمثل الاطار للحياة التي يقدمها النبي، ويدعو اليها، فاذا ماتت تلك القاعدة، وذلك الاطار باضمحلال ذلك التراث، وبقيت النبوة مجرد مسألة تاريخية لا يوجد لها (ما بازاء) . على ما يقول المناطقة .؛ يعني لا يوجد بالفعل في حياة الناس ما يجسد مفهوم تلك النبوة، ومناظرها الى الحياة] .

2- عدم وصول الإنسان إلى رشفه الكامل:

بمعنى عدم نضجه وتكامل رشفه بما يغنيه عن نبوة جديدة وذلك من ناحيتين(خطين) الأولى وعيه لقضية التوحيد، الثانية وعيه لتحمل أعباء الرسالة وحفظ تراثها، وقد أثبت بأن الإنسان قد وصل إلى الحد النهائي من الكمال برسالة الإسلام الخاتمة، وكما يلي:

أ- بلوغ الأمة الغاية القصوى من الوعي التوحيدي:

بعد أن استعرض مفهوم التوحيد في التوراة والإنجيل أثبت أن القرآن جاء بأنصع وأكمل صورة لوعي التوحيد بما لا يحتاج معه إلى نبوة جديدة، فقال ص56-57:

[بينما (الكتاب الثالث) ، القرآن الكريم ، كتاب نبي الإسلام ، يعطي فكرة التوحيد بأنصح وأوسع ما يمكن من التنزيه الذي يبقى محتفظاً بقدرته على تحريك الإنسانية لانه مجرد هذه الفكرة عن طابع (الابوة) والعلائق المادية مع الإنسان . على الاطلاق . ، يجرد (الله) عن أي علاقة مادية ، مع أي إنسان على وجه الأرض ، مع صاحب الرسالة بالذات ؛ محمد ابن عبد الله . عليه الصلاة والسلام . .

يقف النبي محمد (ص) . في لغة القرآن . بين يدي الله عبداً ذليلاً خاضعاً يتلقى الأوامر ، وليس له إلا ان يطيع ، وإلا ان ينفذ حرفياً .

مثل هذه الفكرة هي أقصى ما يمكن ان يصل إليه التنزيه والتعميق والتنسيق في فكرة (التوحيد) مع الحفاظ على فاعلية الفكرة وعلى محركيها].

ب- بلوغ الأمة الغاية القصوى من تحمل أعباء الرسالة:

أجرى مقارنة بين أمة موسى عليه السلام وأمة الإسلام من حيث أهليتها لتحمل أعباء الدعوة بأن أمة موسى عليه السلام حين مات نبيها كانت في التيه والضلال أربعين سنة، بخلاف أمة الإسلام التي بلغت من الكمال الذي يؤهلها لتحمل أعباء الرسالة، فقال ص57-58:

[هو خط تحمل أعباء المسؤولية الأخلاقية للدعوة ، يعني كون الإنسان بالغاً إلى درجة تؤهله لأن يتحمل أعباء دعوة لها ضربيتها ، وواجباتها ، وآلامها وهمومها . ◀

مثل هذا التحمل أيضاً له درجات ، ولا يستطيع الإنسان (بالطفرة) ان يصل إلى درجة تحمل أعباء الرسالة العالمية الواسعة غير محدودة الزمان والمكان ، لم يستطع ان يصل لذلك بالطفرة ، وانما استطاع ان يصل إليه بالتدرج وعبر مران طويل على تحمل المسؤوليات البشرية .

نحن بالمقارنة بين أمم (موسى) و (عيسى) ، والمسؤوليات التي تحملتها الأمة الإسلامية حينما نزل الوحي على النبي محمد (ص) بالرسالة الخاتمة ، بالمقارنة بينها نكتشف وجود درجة كبيرة في الفارق بينها في تحمل المسؤوليات وهذه الدرجة الكبيرة في تحمل المسؤولية تعبر عن نحو الاستعداد على مر الزمن .

موسى عليه السلام مات وشعب بني اسرائيل في التيه ، توج حياته وجهاده وتضحياته بان مات وشعب بني اسرائيل في التيه لان الله كتب عليهم التيه أربعين سنة ؛ لانهم لم يستجيبوا لمتطلبات الرسالة ، لم يستجيبوا ابداً لما تقتضيه رسالة موسى بالنسبة إليهم ، حتى خلفهم موسى (ع) حيارى ومات .

أين هذا من امة حملت أعباء الرسالة ، امة محمد ﷺ].

ثم أكد بأن الأمة قد بلغت في الإسلام إلى الحد النهائي للرشد والكمال من الناحيتين، ناحية وعي التوحيد، وناحية تحمل أعباء الرسالة، فقال ص61:

1- آيتهم العظمى مكارم الشيرازي

قال في كتابه (دروس في العقيدة الاسلامية) ص 176-177:
 [ثمة تساؤلات تبرز في موضوع ختم النبوة لا بد من الإشارة إليها: يقول بعضهم إن إرسال الأنبياء فيض إلهي عظيم، فلماذا حُرِمَ أناس في هذا الزمان من هذا الفيض؟ لماذا لا يكون لأهل هذا الزمان هاد وقائد جديد يهديهم ويقودهم؟ إن الذين يقولون هذا قد غفلوا في الحقيقة عن نقطة مهمة، وهي أن حرمان عصرنا لم يكن لعدم جدارتهم، بل لأن قافلة البشرية في هذا العصر قد بلغت في مسيرتها الفكرية وفي وعيها مرحلة تمكنها من إدامة مسيرتها بإتباع الشريعة، ولنضرب هنا مثلاً:

أولو العزم من الأنبياء الذين جاؤوا بدين جديد وبكتاب من السماء، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام) وقد ظهر هؤلاء كل في فترة معينة من الزمان، وسعوا لهداية البشر ووضعهم على طريق التكامل، فأوصل كل منهم القافلة البشرية من مرحلة إلى المرحلة التي تليها وسلمها إلى النبي الذي يليه من أولي العزم، إلى أن بلغت القافلة من مسيرتها إلى الطريق النهائي، كما بلغت القدرة التي تمكنها من مواصلة مسيرتها وهداها نهايتها، مثلها مثل التلميذ الذي يطوي مراحل الدراسة الخمسة حتى يتخرج في الكلية (وبالطبع لا يعني هذا أنه إنتهى من

[ولكننا . نحن المسلمين . نعتقد بأن الخطين (الأول والثاني) اللذين تُربط بهما التغيرات في النبوة ، هذان الخطان لهما حد نهائي يصل إليه الإنسان ، وهذا الحد النهائي هو الحد النهائي الذي وصل إليه الإنسان حينما جاء الإسلام .

الإسلام كرسالة شاملة كاملة عامة للحياة ، هذه الرسالة جاءت على أبواب وصول الإنسان إلى رُشدِه الكامل من ناحية استعداده لتقبل وعي توحيدى صحيح شامل كامل ، ومن ناحية تحمله لمسؤولية أعباء الدعوة .

ونحن باستقراء تاريخنا المنظور منذ جاء الإسلام إلى يومنا هذا لا نجد أي تغير حقيقي في هذين الخطين ، لا في مدى اتساع الوعي التوحيدي عند الإنسان ، ولا في اتساع التحملات الأخلاقية في أعباء الدعوة [انتهى .

وهكذا يصل إلى تقريره النهائي لجواب أهل السنة بعدم الحاجة إلى نبي جديد وذلك لسببين:

1- بقاء شرع نبينا ﷺ محفوظاً من دون تحريف.

2- بلوغ الأمة الغاية القصوى من الرشد والكمال الذي يؤهلها لحمل الدين وتبليغه للبشرية.

التعليم، بل يعني أهليته للاستمرار بمفرده دونما حاجة إلى معلم أو مدرسة)، وهذه المراحل هي: المرحلة الابتدائية، المرحلة المتوسطة، المرحلة الإعدادية، المرحلة الجامعية، وأخيراً مرحلة الحصول على الدكتوراه، فإذا لم يواصل دكتور الدراسة في الجامعة، فلا يعني هذا أنه ليس جديراً بالدراسة، بل يعني أن لديه من المعلومات ما يمكنه من حل مشكلاته العلمية بالاستعانة بها، ومن الاستمرار في مطالعته ومواصلة تقدمه] انتهى .

فها هو يجيب بجواب أهل السنة بأن الأمة قد بلغت من النضج والقدرة ما يُمكنها من مواصلة سيرها دون الحاجة إلى نبوة جديدة.

2- السيد مجتبي اللاري

فقد أجاب بعدم الحاجة إلى نبي جديد بعد نبينا محمد ﷺ فقال في كتابه (أصول العقائد في الإسلام) ج2 ص193-201:

[ينظر الإسلام إلى الأصل القائل إن الدين الإسلامي هو خاتمة الأديان بعنوان كونه من الأركان المهمة للإيمان الديني ، وهو ينفي البعثة لأيّ رسول بعد نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله) .

وعندما يتحدّث المرء عن الإسلام فهو لا يستطيع أن يتغافل عن دور النبيّ في كونه خاتم الرسل ، فأيّ مسلم لا يستدعي ذكر محمّد (صلى الله عليه وآله) في نفسه صفة خاتميتها ، وأيّ مسلم يتردد في كون القرآن هو آخر كلمة للوحي ؟...

والآن كيف يمكننا حلّ هذا التناقض الذي يبدو بين ضرورة البعثة التي هي سبب في إعطاء الحياة سرعتها الطبيعية وحركتها اللازمة من ناحية ، وختم النبوة من ناحية أخرى ، بين الأصل الراض للتغيير في أسس الإسلام وأصل الصيرورة الاجتماعية والبحث عن مفاهيم وسنن جديدة ؟...

الجواب:

إن الإسلام الذي فاجأ الناس بفكرة النبوة الخاتمة هو الذي يجيب على هذه التساؤلات.

فإحدى العلل لتجديد رسالات الأنبياء وتوالي الرسل هي ما يقع من تحريف في الكتب السماوية ، ولهذا فهي تفقد عندئذ صلاحيتها لهداية البشرية و إرشادها ، أما عندما يصل الإنسان إلى مرحلة من النضج بحيث يستطيع المحافظة على السنن والتعاليم الدينية بعيدة عن التحريف والتغير ، ويتمكن من النهوض بنشرها فإنه ينتفي حينئذ اعظم الأسباب لتجديد الرسالة ، و لا تبقى حاجة لنبوة جديدة .

إذن يختلف عصر ظهور نبي الإسلام من هذه الناحية عن العصور التي ظهر فيها الأنبياء الآخرون بصورة كاملة ، حيث ان الإنسان قد وضع أقدامه في مرحلة النضج الفكري وتهيأت الظروف اللازمة لاختتام الرسالة .

فالنضج الاجتماعي والوعي العلمي قد أوصل الإنسان إلى مرحلة يكون فيها هو الحافظ والمبّغ لدينه السماوي ، وبهذا يتحقق ركن مهم من أركان الخاتمية، وتسد مهمة الإرشاد والدعوة منذئذ إلى العلماء والمفكرين وذلك لان الإنسان منذ هذا التاريخ أصبح قادراً على حفظ تراثه التاريخي ومنجزاته المعنوية بفضل هذا الكتاب الكريم ، وبفضل ما أصبح يتمتع به من نضج ثقافي واجتماعي، ويجب عليه الحيلولة دون تحريف أو تغير هذا الكتاب الموحى إلى النبي الكريم، وذلك لان هذه الرسالة سوف تنتقل منذ الآن إلى المجموع ، وسوف لن تكون المسؤولية على عاتق فرد واحد فحسب وذلك كما يقول القرآن :

﴿وَلَكِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

ويصل الإنسان خلال تحولاته الاجتماعية إلى مرحلة تفقد فيها العمليات الجراحية المتتالية ما لها من نتائج طيبة ، وتهيأ للدخول في أفق تتبدل فيه النبوة المنقطعة إلى نبوة مستمرة ، ويصوغ الناس مصيرهم ببصيرة مشرقة وتعمق في منجزات الوحي واختيار سليم ...

والقرآن الكريم هو الوحيد بين الكتب السماوية الذي بقي مصوناً من يد التغيير وبقي متنه محفوظاً من التحريف ، ونشاهد فيه التعاليم خالقة ومتجددة بشكل واضح

، فلنقرأ معاً الآية التاسعة من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن العلة الأساسية في تجديد الرسالات قد انتفت ...

وعندما يصل الإنسان إلى مرحلة النضج الإنساني والقدرة على استيعاب الحقائق الكلية والقوانين الإلهية يصبح العلماء خلفاء للأنبياء ، لكي يوسعوا في أفكار الناس مكاناً للمقاييس الأصيلة ، وفي ظل التطلعات الرفيعة للدين يأخذون على عاتقهم مهمة البحث والاجتهاد والنضال ضد التحريف والتزوير وإشاعة المعايير الإلهية في اتجاهها الصحيح

ومن حيث اختلاط التخطيط الذهني بالواقعيّات الخارجية فقد أثبتت البشرية خلال ما يناهز خمسة عشر قرناً أنها مهياًة لتحمل المسؤوليات الكبيرة ، وأنها قادرة على حفظ الميراث الذهني والعلمي ، وقد أبدت عمقاً في نظرتها الواقعية في مرحلة التحليل والتفسير .

وهذه الأمور تثبت أن الإنسان قد وصل إلى مرحلة الاستقلال والقدرة على حفظ الآيات السماوية بأقصى دقة ، وأنه يتحمل عبء الدعوة والتفسير ونشر الدين الحنيف.

وعندما وصلت التعاليم الإلهية إلى الإنسان انتفت الحاجة لمجيء نبيّ جديد، فلو فرضنا أننا أخذنا قطعة من الأرض وأجرينا فيها الدراسات اللازمة الدقيقة لاكتشاف ما فيها من آثار تاريخية ، فإننا نقطع حينئذ بعدم وجود شيء مخفي في بطن الأرض ، ولا يبقى هناك مجال آخر واكتشاف جديد ، وكذا لحال بالنسبة للأمور المتعلقة بالوحي .

فعندما اجتازت النبوة تلك المراحل المختلفة انتهت إلى أرفع درجات كمالها ورقّيتها ، واتضحت من ناحية الوحي كلّ الزوايا المبهمة والغامضة التي يمكن ان تصل إليها أفكار الناس ، وعندئذ لا تبقى نقطة مبهمّة ولا طريق غير مسلوک ، فتكون النبوة قد وصلت إلى آخر مداها في أداء دورها الخاص و أعمالها المستمرة، وتصبح قادرة على الاستمرار في حياتها مرتبطة بالمنبع اللانهائي للوحي ، ومتصفة بالاتّساع والخروج على بعد زمان واحد ، ومتميّزة بنظام قيمي وثقافي واجتماعي واحد .

ويعلن نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله) ببيانه الواضح الذي ينفذ إلى أعماق القلب : (إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة

، فكان من دخل فيها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، قال (صلى الله عليه وآله) :فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء وأورده البخاري ومسلم في صحيحهما)] انتهى .

فتأمل رحمك الله كيف أجاب عن الشبهة بجواب أهل السنة ببلوغ الأمة درجة من النضج الفكري والقدرة على حفظ الدين بما يجعلها مستغنية عن نبي جديد.

3-آيتهم العظمى جعفر سبحاني

وهو بدوره قد أجاب عن الشبهة بجواب أهل السنة فقال في كتابه(مفاهيم القرآن) ج3ص217-221:

[إن من شيم العصر الإلحاد الحاضر ، كثرة السؤال والتشكيك في كل شيء،خصوصاً فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد ، والمعارف الغيبية أي المسائل الراجعة الى ما وراء الطبيعة ، ولم تسلم مسألة خاتمية الرسول الأعظم (ص) من هذه التشكيكات ، فقد كثر السؤال وطال الحوار والنقاش حولها ، ونحن نذكر تلكم الاسئلة الدارجة في الأذهان والإفهام ونعترف بان بعضها او كثيراً منها جدير بالبحث والتمحيص اكثر ، مما بحثنا عنه .

السؤال الأول:

وحاصله : هب انه ختمت النبوة التشريعية ، فلماذا ختمت التبليغية منها ؟
توضيحه: ان النبي إذا بعث بشريعة جديدة وجاء بكتاب جديد ، فالنبوة التشريعية و أما إذا بعث لغاية الدعوى والإرشاد إلى أحكام وقوانين سنها الله سبحانه على لسان نبيه المتقدم، فالنبوة تبليغية.

والقسم الأول من الرسل ، قد انحصر في خمسة ، ذكرت أسماؤهم في القرآن والنصوص المأثورة ، أما الأكثرية منهم ، فكانوا من القسم الثاني وقد بعثوا لترويج الدين النازل على أحد هؤلاء فكانت نبوتهم تبليغية.

حينئذ ، فقد يسأل سائل ويقول : هب ان نبي الإسلام جاء بأكمل الشرائع و أتمها واجمعها للصلاح وجاء بكل ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ومعاده إلى يوم القيامة ولم يبق لمصلح رأي ولمتفكر نظر ، في أصول الإصلاح و أسسه، لان نبينا (ص) قد أتى بصحيح الرأي و أتقنه و أصلحه في كافة شؤون الحياة

ومجالاتها ولأجل ذلك الاكتمال أوصد باب النبوة التبليغية التي منحها الله للأمم السالفة فان الشريعة مهما بلغت من الكمال والتمام لا تستغني عن يقوم بنشرها وجلائها وتجديدها ، لكي لا تتدرس ويتم إبلاغها من السلف إلى الخلف بأسلوب صحيح ، فلماذا أوصد الله هذا الباب بعدما كان مفتوحاً في وجه الأمم الماضية، ولماذا منح الله سبحانه هذه النعمة على السالف من الأمم وبعث فيهم أنبياء مبلغين ومنذرين وحرّم الخلف الصالح من الأمم منها ؟ .

الجواب:

إن انفتاح باب النبوة التبليغية في وجه الأمم السالفة وإيصاده بعد نبي الإسلام ليس معناه ان الأمم السالفة استحققت هذه النعمة المعنوية ، لفضيلة تفردت بها، دون الخلف الصالح من الأمم ، أو ان الأمة الإسلامية حرمت لكونها اقل شأنًا و أهون من الأمم الخالية — كلا — بل الوجه ان الأمم السالفة كانت محتاجة إليها دون الأمة الإسلامية ، فهي في غنى عن أي نبي مبلغ يروج شريعة نبي الإسلام. وذلك ان المجتمعات تتفاوت ادراكاً ورشداً ، فرب مجتمع يكون في تخلفه كالفرد القاصر ، لا يقدر على ان يحتفظ بالتراث الذي وصل إليه ، بل يضيعه كالطفل الذي يمزق كتابه ودفتره غير شاعر بقيمته .

ورب مجتمع بلغ من القيم الفكرية والأخلاقية والاجتماعية ، شأواً بعيداً يحتفظ معه بتراثه الديني واصل إليه ، بل يستثمره استثماراً جيداً فهو عند ذاك غني عن كل مروج يروج دينه ، او مبلغ يذكر منسيه او مرب يرشده إلى القيم لأخلاقية ، او معلم يعلمه معالم دينه ويوضح له ما أشكل من كتابه ، إلى غير ذلك من الشؤون ، فأفراد الأمم السالفة كانوا كالقصر غير بالغين في العقلية الاجتماعية فما كانوا يعرفون قيمة التراث المعنوي الذي وصل اليهم بل كانوا يلعبون به لعب الصبي بكتابه ، بتحريفهم له وتأويله بما يتوافق مع أهوائهم ومشاربهم ، ولذا كان يحل بالشريعة اندراس بعد مضي القرون والأجيال ويستولي عليها الصداً بعد حقبة من الزمان .

لهذا ولذلك كان على المولى سبحانه ان يبعث فيهم نبي جيل بعد جيل ليذكرهم بدينهم الذي ارتضاه الله لهم ، ويجدد شريعة من قبله ويروج قوله وفعله ويزيل ما علق بها من شوائب بسبب أهواء الناس وتحريفاتهم .

و أما المجتمع البشري بعد بعثة الرسول (ص) ولحوقه بالرفيق الأعلى ، فقد بلغ من المعرفة والإدراك والتفتح العقلي والرشد الاجتماعي شأواً يتمكن معه من حفظ تراث نبيه وصيانة كتابه عن طوارق التحريف والضياع ، حتى بلغت عنايته بكتابه الديني إلى تصنيف أنواع التأليف في أحكامه وتفسيره وبلاغته ومفرداته واعرابه وقراءته فأزدهرت تحت راية القرآن ضروب من العلوم والفنون .

فلأجل ذلك الرشد الفكري في المجتمع البشري ، جعلت وظيفة التبليغ والانذار على كاهل نفس الامة حتى تبوّأت وظيفة الرسل من التربية والتبليغ، واستغنت عن بعث نبي مجدد على طول الزمان يبلغ رسالة من قبله .
فاذا قدرت الامة على حفظ ما ورثته عن نبيها ، ونشره بين الناس في الافاق، ومحو كل مطمع فيه وهدم كل خرافة تحدثها يد التحريف ، استغنت طبعاً عن قائم بهذا الامر سوى نفسها.

لقد ظهرت طلائع هذا التفويض من أول سورة نزلت على النبي (ص) حيث خاطبه الله سبحانه ، في اليوم الذي بعثه رسولا الى الناس وهادياً لهم بقوله :
﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق 1-4).

وهذا الخطاب يؤذن بان دينه دين التلاوة والقراءة ، دين العلم والتعليم ، دين القلم والتحرير وان هذا الدين سوف يربي أمة مفكرة متحضرة عالمة بقيمة التراث الذي يصل إليها قدرة على حفظ هذا الدين في ضوء العلم والفكر، مستعدة لنشر تعاليمه في أقطار العالم و أرجاء الدنيا بأساليب صحيحة .

وقد بلغت عناية الإسلام بالقلم والكتابة إلى حد ان اقسام سبحانه به ((القلم وما يسطرون)) وانزل سورة باسمه تمجيذاً له وحثاً للامة على تقديره والعناية به ليكون رائداً للتقدم والحضارة والمعرفة ويصير احسن ذريعة إلى حفظ التراث بلا حاجة إلى مبلغ سماوي .

ثم انه سبحانه صرح بهذا التفويض أي تفويض أمر التبليغ إلى نفس الامة في غير موضع من كتابه ، منها قوله سبحانه:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: الآية 122) ، ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: 104) ، ومنها قوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: الآية 110) .

وفي السنن والأحاديث تصاريح بذلك ، نكتفي بما يلي :
قال الباقر (ع) : (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ، ومنهاج الصالحاء ، وفريضة بها تقام الفرائض ، وتأمين المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر)⁽¹⁾ .
ولعل في قوله (ع) : (سبيل الأنبياء) إشارة إلى ان هذا الأمر موكول إلى الأمة بعد انقطاع الوحي وإيصاد باب النبوة . وقال رسول الله : (إذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله)⁽²⁾ .

وقد أثبت هذا المعنى أيضاً فيلسوفهم صدر الدين الشيرازي فقال في كتابه (الحجة) ص 107-108 تحت عنوان (أسباب ختم النبوة): [إن النفوس والغرائز من زمن آدم عليه السلام وابتداء خلق العالم هي في حالة ترقّ بحسب قابليتها واستعداداتها، وهذا الإرتقاء من حضيض النقص إلى ذروة الكمال، والسمو من مهوى البعد وأرض السفالة إلى بقاع الرفعة وسماء القرب هو من المبدأ المتعال، وذلك من خلال بعث الأنبياء ونزول الملائكة بالكتب والصحف المنزلة عليهم من ملكوت السماء لتعليم الأمم وهدايتها وتخليصها من القيود والتعلقات وتكميل النفوس بأنوار العلوم والمعارف والآيات، وكلما قوي استعدادهم وصفت أذهانهم بالتلطيف والتأديب استعدادوا واستحقوا لشريعة جديدة وأحكام أخرى تنسخ ما سبقها من الأحكام وهكذا إلى

(1) وسائل الشيعة كتاب الأمر بالمعروف الباب الأول الحديث 6.

(2) المصدر نفسه الباب الأربعون الحديث 1 .

أن انتهت الشرائع والأديان إلى شريعة لا أكمل منها، ودين لا أتم منه وهو دين الإسلام لقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: من الآية3).

المطلب الثاني: مصادمة جواب أهل السنة مع معتقد الشيعة في الإمامة

كما تجلّى للجميع مما تقدم أن القول في إثبات نضج الأمة وأهليتها لحفظ الدين ونقله للناس إلى قيام الساعة معناه جدارتها واستغنائها عن نبي جديد لأنها قامت بالمسؤولية في حفظ الدين وتبليغه على أتم وجه وهذا يبطل كلام مدعي الحاجة إلى النبوة من القاديانية وغيرهم.

ولكن الذي قد لا يتنبه إليه القارئ هو أن جواب أهل السنة ذاك لا يبطل كلام القاديانية فحسب بل هو يبطل كلام الشيعة الإمامية⁽¹⁾ أيضاً بشكل مباشر وصریح وبيان ذلك من وجهين:

الأول:

إن إثبات ذلك للأمة معناه استغنائها عن أي مرشدٍ معصوم يحفظ لها الدين ويبلغه إلى قيام الساعة ومن ثم يبطل قول الشيعة بالإمامة، ولا مفرّ من الجواب إما باستغناء الأمة عن أي مرشدٍ معصوم . نبي أو إمام . أو حاجتها له لعدم نضجها وقدرتها على القيام بدورها، فصار القول بنضج الأمة واستغنائها يتنافى تماماً ويتصادم مع قول الشيعة بحاجتها إلى إمام معصوم فلا يمكنهم إثبات هذه الحاجة للأمة إلا أن ينفوا عنها نضجها، ففي إثبات أحدهما إبطال للقول الآخر، ولذا صرح موسى جار الله بأن الشيعة نفوا عن الأمة نضجها وأنها قاصرة ليصلوا من خلال

(1) ودليل تصادمه مع معتقد الشيعة في الإمامة هو أن آيتهم العظمى جعفر سبحاني عندما أورده كجواب على عدم الحاجة إلى نبوة جديدة أرفهه بجواب آخر قال عنه بأنه يكون ملائماً لأصول الشيعة في الإمامة فقال في مفاهيم القرآن (221/3): [ثم أن هناك جواباً آخر ربما يكون ملائماً لأصول الشيعة الإمامية في مسألة الإمامة والخلافة]، بمعنى أن الجواب المتقدم لا يلائم معتقدهم في الإمامة وهو المطلوب .

هذا النفي إلى إثبات حاجتها إلى إمام معصوم حيث قال: [.. وإنما أنكر عليها عقيدتها أن أمة محمد لم تزل قاصرة ولن تزال قاصرة ، تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة] .

فظهر التصادم وعدم إمكان الجمع بين قول أهل السنة بنضج الأمة واستغنائها مع قول الشيعة بحاجة الأمة إلى إمام معصوم لعدم نضجها واستغنائها .
الثاني:

إن الذي يؤكد مصادمة الجواب مع معتقد الشيعة هو أن علماءهم الذين أثبتوا نضج الأمة واستغنائها عن نبي جديد لرد شبهة القاديانيين⁽¹⁾، هم أنفسهم نقضوا جوابهم فأثبتوا عدم نضج الأمة واستغنائها وذلك في مقام إثباتهم حاجتها إلى إمام معصوم بعد النبي ﷺ ، مما يثبت بصراحة تصادم جواب أهل السنة - الذي اعتمده - مع معتقدهم ، فمن هؤلاء الذين وقعوا في التناقض الصريح:

1- محتبى اللاري

حيث صرح بحاجة الأمة إلى إمام معصوم لأنها لم تكن بالنضج الفكري والثقافي الذي يؤهلها للإستغناء عن الإمام المعصوم، فقال كتابه (أصول العقائد في الإسلام) ج4 ص16-17: [إن الأمة في حركتها إلى الكمال تحتاج إلى زعيم ما، وهي حاجة فطرية طبيعية ، فكما ان الإسلام قد وفر للبشر كل ما يحتاجونه من حاجات فردية واجتماعية مادية ومعنوية في أحكامه الكاملة ، كذلك عليه ان يكون قد استجاب لهذه الحاجة الطبيعية أي الزعامة بصورة منسجمة مع الفطرة الإنسانية .

ان الخالق الذي - من اجل كمال كل مخلوق - وفر له الوسائل الضرورية وغيرها ، كي يعبر من حدود النقص والضعف إلى منازل الكمال ، كيف يمكن ان يستثني من ذلك الإنسان الذي وفر له كل حاجاته الطبيعية فلا يوفر له العامل المهم لرقيه المعنوي والروحي؟! .أفهل بالإمكان أن نقول بأن الله الذي لم يترك أي شيء من مستلزمات التكامل المادي والجسدي للبشر دون أن يهبه إياه ، قد حرمه من ان يوفر له العامل المهم الذي له الدور الأساسي في رقيه الروحي، وانه بخل

(1) الذين نقلنا أقوالهم في المطلب السابق وهم مكارم الشيرازي ومحتبى اللاري وجعفر سبحاني .

ان وجود عليه بهذه النعمة؟! . إن أمة الإسلام بعد وفاة رسول الله لم تكن بذلك المستوى من الرقي الفكري والثقافي الإسلامي الذي تتمكن معه من الاستمرار في تطورها التكاملي ، إلا في ظلال وصاية الرسول . وأن البرنامج الذي طرحه الإسلام لرشد الإنسان ونموه وتعالیه ، ما لم يندمج ببرنامج الإمامة الإلهية فإنه سيبقى برنامج ناقصاً بل جامداً لا روح فيه ، وسوف لا يتمكن من أن يؤدي دوراً قيماً في تحرير الإنسان وتنمية طاقاته].

وليقارن القراء قوله هنا: [ان أمة الإسلام بعد وفاة رسول الله لم تكن بذلك المستوى من الرقي الفكري والثقافي الإسلامي الذي تتمكن معه من الاستمرار في تطورها التكاملي، إلا في ظلال وصاية الرسول]، مع قوله هناك⁽¹⁾ حيث قال: [حيث ان الإنسان قد وضع أقدامه في مرحلة النضج الفكري وتهيأت الظروف اللازمة لاختتام الرسالة ... أما عندما يصل الإنسان إلى مرحلة من النضج بحيث يستطيع المحافظة على السنن والتعاليم الدينية بعيدة عن التحريف والتغير، ويتمكن من النهوض بنشرها فإنه ينتفي حينئذ اعظم الأسباب لتجديد الرسالة ، ولا تبقى حاجة لنبوة جديدة] .

فهل رأيت أصرح من هذا التناقض بين المقولتين مع أنه ذكرهما بنفس الكتاب.

2-ناصر مكارم الشيرازي

وهو أيضاً لم يسلم من التناقض حيث قال⁽²⁾ ص188: [ولسوف نثبت في بحثنا التالية وجوب أن يكون في كل عصر وزمان ممثل إلهي نبي أو إمام معصوم]، وقال ص189 تحت عنوان (التكامل المعنوي إلى جانب وجود القادة الإلهيين): [قبل كل شيء نتوجه إلى الهدف من خلق الإنسان، فهو أساس عالم الخليفة: إن الإنسان يطوي طريقاً طويلاً كثيراً المنعطفات والعثرات في سيره نحو الله، نحو الكمال المطلق، نحو التكامل المعنوي بجميع أبعاده، من البديهي أنه لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم، ولا أن يطويه بغير معلم سماوي، لأنه

(1) في المطلب الأول من هذا الفصل عندما كان يصدد إثبات عدم حاجة الأمة إلى نبي جديد.

(2) وذلك في نفس كتابه (دروس في العقائد الإسلامية).

طريق محفوف بالظلمات وبمخاطر الضلال فبناءً على ذلك (إن وجود الإمام يكمل الهدف من خلق الإنسان) وهذا ما يطلق عليه في كتب العقائد إسم "قاعدة اللطف" ويقصدون بها أن الله الحكيم يمد الإنسان بجميع الأمور اللازمة لكي يصل إلى هدف الخلق، ومن ذلك بعث الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين، وإلا فإن ذلك يؤدي إلى نقض الغرض فتأمل!].

فبعد أن بيّن حاجة الإنسان إلى مرشد معصوم في مسيرته التكاملية انتهى إلى قول التالي: [من البديهي أنه لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح **بغير هداية قائد معصوم**، ولا أن يطويه بغير معلم سماوي، لأنه طريق محفوف بالظلمات وبمخاطر الضلال ... أن الله الحكيم يمد الإنسان بجميع الأمور اللازمة لكي يصل إلى هدف الخلق، ومن ذلك بعث الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين]، مع أنه قد قرر هناك بعدم حاجتها لنبي جديد واستغنائها عنه حيث قال: [لأن قافلة البشرية في هذا العصر قد بلغت في مسيرتها الفكرية وفي وعيها مرحلة تمكنها من إدامة مسيرتها بإتباع الشريعة ... إلى أن بلغت القافلة من مسيرتها إلى الطريق النهائي، كما بلغت القدرة التي تمكنها من مواصلة مسيرتها **وجدها**] وهذا تناقض صريح لا يخفى على العقلاء والفاجمة أنه ذكر القولين بنفس الكتاب.

3- جعفر سبحاني

وهو بدوره قد وقع في التناقض الصريح حيث صرح بمقولتين متناقضتين تماماً حين قال في مقام إثباته حاجة الأمة والمجتمع الإسلامي بعد النبي ﷺ إلى إمام معصوم يفسر لها كتاب الله تعالى ويبين مشكله ويكشف أسراره ما نصه: [يجب عليه سبحانه حفاظاً على وحدة الأمة وصيانتها عن الشرود في متاهات الضلال أن **يشفع كتابه** بميزان آخر ، وهاد يدعم أمره ، **ومعلم يوضح لهم أسراره**]، مع أنه صرح بأن المجتمع إذا بلغ النضج الفكري المطلوب لختم النبوة - كحالهِ بعد رحيل النبي ﷺ - سيكون عند ذلك غنياً عن أي معلم يعلمه معالم دينه ويوضح له ما أشكل من كتاب الله فقال: [ورب مجتمع بلغ من القيم الفكرية والأخلاقية والاجتماعية ، شأواً بعيداً يحتفظ معه بتراثه الديني واصل إليه، بل يستثمره استثماراً

جيداً فهو عند ذاك غني عن كل مروج يروج دينه ، او مبلغ يذكر منسيه او مرب يرشده إلى القيم لأخلاقية ، أو معلم يعلمه معالم دينه ويوضح له ما أشكل من كتابه]، ففي القول الأول أثبت حاجة المجتمع الإسلامي إلى معصوم يفسر له القرآن ويبين له ما أشكل عليه فيه، بينما في القول الثاني أثبت إستغناءه ونفى حاجته لمن يقوم عنه بتلك المهمة، والعجيب أيضاً أنه ذكر الكلامين بنفس الكتاب!!! وهكذا ظهر لنا بما لا يقبل الشك أن جواب أهل السنة الذي تنباه علماء الشيعة أنفسهم في نقض شبهة القاديانيين في الحاجة إلى نبي جديد يتصادم مع معتقدتهم في الإمامة ولذا عمدوا إلى خلافه حين أرادوا إثبات الحاجة إلى إمام معصوم فوقوا في تناقض صريح ومخجل، يعجب منه كل من أنعم الله عليه بنعمة العقل والفهم . ويمكن أن نلمس هذا التناقض أيضاً من خلال المقارنة بين كلام عالَمين من علمائهم أولهما علامتهم ابن المطهر الحلي في معرض شرحه لكلام فيلسوفهم النصير الطوسي بالحاجة للنبوة في كل وقت حيث قال: [المسألة السادسة : في وجوب البعثة في كل وقت قال : ودليل الوجوب يعطي العمومية]⁽¹⁾، إلا أن الحلي هدّب هذه العبارة فقال: [وقال علماء الإمامية : إنه تجب البعثة في كل وقت بحيث لا يجوز خلو زمان من شرع نبي]، فأثبت أن بقاء شرع النبي يغني عن وجود شخص النبي متأولاً كلام الطوسي بأن المقصود منه هو عدم خلو أي زمان من "شرع" النبي وليس من شخصه حتى لا يُنْهَم باعتقاد وجوب استمرار النبوة في كل وقت وهو بعينه قول أهل السنة.

إلا أننا في نفس الوقت نجد إن هذا الكلام لم يرق لمحقق كتاب الألفين وهو السيد محمد مهدي الخراسان-ثاني العالمين بعد الحلي- حيث عبر عن شخص النبي بالمصلح الناطق وعن الشرع وهو الكتاب والسنة بالمصلح الصامت ثم صرح بأن المصلح الصامت لا يغني عن وجود المصلح الناطق ، أي لا يمكن الاستغناء بالشرع عن شخص النبي فقال: [ولو قيل : إن القائم مقامه شريعته الكتاب والسنة لقلنا قد سبق الجواب عن ذلك بأنهما غير كافيين في بيان كل ما يحتاج إليه الناس

(1) كلام الطوسي هذا قد أثبت فيه أن دليل الوجوب لبعثة النبي يعطي العمومية لهذا الوجوب، بأن يحصل في كل وقت وزمان دون أن يقتصر ذلك على زمان دون آخر .

وما يتولد من شؤون لم يصرحا بها، هذا مع أن دلالتها محل للتنازع والخلاف بين الأمة، ويقول من يؤخذ وعلى رأي من يعتمد على أن الرسول صلى الله عليه وآله مصلح ناطق والكتاب والسنة مصلح صامت ولا يعني الصامت عن الناطق فلا بد من المصلح الناطق في كل زمان لأن الخلق كلهم شرع سواء في العطف واللطف والشفقة والرحمة من الخلاف اللطيف فكيف يخص زمانا وجيلا دون الأزمنة والأجيال الأخرى بعطفه ولطفه وهو اللطيف الرحيم في كل عهد مع كل جيل، فناقض بذلك كلام علامتهم الحلي ونسفه من أصله، وهذا مثال آخر على وقوع التناقض بين علماء الشيعة في هذه المسألة علاوة على وقوعه في كلام العالم الواحد في أكثر من مؤلف، بل صدوره - وهذا أعجب العجائب - من نفس العالم في نفس الكتاب كما سبق ذكره عند الكلام عن تناقض اللاري والشيرازي وسبحاني آنفاً. ولكن رب سائل يسأل مستغرباً كيف يقع مثل هؤلاء الأعلام والمراجع العليا في المذهب بمثل هذا التناقض الصريح الذي ظهر واضحاً كالشمس لكل عاقل متتبع لكلام هؤلاء العلماء في هذه المسألة؟! والجواب عن هذا السؤال في المطلب التالي:

المطلب الثالث: سبب وقوع علماء الشيعة بهذا التناقض الصريح

والسبب في هذا هو أنهم أرادوا إبطال مقولتين متضادتين تماماً في نفس الوقت فوقوا بمطّبّ الجمع بين النقيضين وبيانه هو أنهم أرادوا أن يبطلوا دعوى القاديانية بوجود بعث نبي جديد بعد نبينا ﷺ فأثبتوا لهم أن الأمة الإسلامية قد بلغت من النضج الفكري الذي جعلها مؤهلة لحمل الدين والحفاظ عليه بما يجعلها مستغنية عن نبي جديد فهذا من جهة، ومن جهة أخرى أرادوا أن يبطلوا دعوى أهل السنة بعدم حاجة الأمة إلى أمام معصوم بعد النبي ﷺ فقالوا أن الأمة غير مستغنية بل محتاجة إلى مرشد معصوم يحفظ لها الدين ويبينه، فمع القاديانية قالوا أن الأمة مستغنية، ومع أهل السنة قالوا بأن الأمة غير مستغنية بما يكشف جلياً عن السبب الحقيقي في وقوعهم بهذا التناقض الصريح.

وأنا بدوري في هذه الدراسة أضع هذه الحقيقة أمام الجميع بأن على الإمامية أن يختاروا أحد المقولتين اللتين لا يمكن الجمع بينهما وهما:

المقولة الأولى

أن يوافقوا أهل السنة على معتقدهم باستغناء الأمة عن أي مرشد معصوم، وعندها سيكسبون المعركة العقائدية مع القاديانية بإثباتهم استغناء الأمة عن نبوة جديدة، إلا أن هذا سيكلفهم ثمناً باهظاً جداً متمثلاً بنقض أهم أصولهم العقائدية ألا وهو الإمامة لأنهم سيعترفون بعدم حاجة الأمة إلى إمام معصوم بعد النبي ﷺ، ونحن والله نُسرُّ سروراً عظيماً إذا ما اختاروا هذا القول ونقول مرحباً بالوفاق والاتفاق وبعداً للفرقة والنزاع بين الشيعة وأهل السنة.

المقولة الثانية

أن يبطلوا قول أهل السنة باستغناء الأمة ليثبتوا حاجتها إلى إمام معصوم، وعندها سيكسبون المعركة العقائدية مع أهل السنة⁽¹⁾، إلا أنهم سيخسروها مع القاديانية الذين ستظهر غلبتهم عليهم من خلال استخدامهم لنفس أدلة الإمامية في إثبات الحاجة إلى إمام معصوم ومن ثم فلا يمكنهم إبطال قولهم أبداً .

ونتيجة عيش الشيعة في عقدة تاريخية ومعركة عقائدية مع أهل السنة حول قضية الإمامة عمرها مئات السنين واندفاعهم لحسمها لصالحهم بأي طريقة كانت سيتيقن القارئ أنهم سيختاروا المقولة الثانية بعدم استغناء الأمة الإسلامية عن إمام معصوم بعد النبي ﷺ وإلى قيام الساعة ليسلم لهم أصل الإمامة⁽²⁾ ولو على حساب نقض عقيدة ختم النبوة حيث سنبين للقراء عموماً وللشيعة خصوصاً بأن معتقدهم في الإمامة من حيث أدلتها ونتائجها سيقدم خدمة كبيرة للقاديانية في تقوية دعوتهم وإعلان كفرهم لأنها ستصبح جسراً يعبرون عليه ليصرحوا بوجود استمرار

(1) هذا على التسليم الجدلي بأنهم سيكسبون المعركة العقائدية مع أهل السنة، وإلا فالحق هو أن هزيمتهم ظاهرة نتيجة لضعف الأدلة وبطلانها كما سنتعرض لذلك في دراسات منفصلة حول مناقشة أدلتهم العقلية والنقلية نسأل الله تعالى أن يوفقني لإتمامها وإخراجها.

(2) هذا ما أنا مستيقن منه بأنهم سيختاروا القول بعدم استغناء الأمة عن إمام معصوم، وأما إن اختاروا القول الأول باستغناء الأمة عن مرشد معصوم فهذه تحسم المعركة العقائدية وتختصر الطريق لأنهم سيعترفوا ببطلان أصلهم في الإمامة بعدم حاجة الأمة إلى إمام معصوم وهذا وقَعُ عليهم شديد لذا لا أظنهم سيختاروه.

النبوة، وسنبين ذلك عن طريق مناظرة تخيلية بين القادياني والإمامي ننقل فيها قول القادياني بالمعنى ثم ننقله بالهامش بنصه، لعنا نكون قد قربنا المادة في هذه الدراسة للقارئ ببسر وتعم الفائدة منه، لتتجلى للجميع وللإمامية بشكل خاص خطورة معتقدهم في الإمامة على عقيدة ختم النبوة لأنها فتحت الباب لدعوى استمرار النبوة من خلال أدلتها ومقدماتها التي تعتبر مشتركة بين النظريتين.

وسبب تركيزي في هذه الدراسة على هذا لأن الشيعة قاطبةً - علماء ومتقنين - اعتادوا أن يردوا على أهل السنة ليثبتوا أصلهم ومعتقدهم في الإمامة ولكنهم بسبب عدائهم لأهل السنة الذي جعل على أعينهم غشاوةً غفلوا عن النتائج والعواقب الوخيمة التي ينتجها معتقدهم، فهم لا يعباؤون بأي خصومة مع أي فرقة كانت إلا مع أهل السنة فهم العدو التقليدي لهم وهذا ما جعلهم لا يتدبرون المخاطر التي قد تنتجها مقولتهم في الإمامة والتي سنفتح الباب للكفار والملحدين كي ينشروا باطلهم متكئين على ما أصله الإمامية من أصول عقلية.

ولذا فسأعلنها بأعلى صوتي كي أبرئ ذمتي أمام الله تعالى وأمام التاريخ بأن الإمامة التي يعتقدونها الشيعة سنقود إلى نقض عقيدة ختم النبوة⁽¹⁾ وستجعل القاديانيين ينشرون كفرهم بنفس الأدلة التي اعتمدها الشيعة لعلها توقض الغافلين والمندفعين من الشيعة في نصرة معتقدهم دون تدبر بعواقبه الوخيمة على أصول الإسلام والتي سنقف على أحدها في الفصول التالية:

(1) وحول هذا يقول موسى جار الله في كتابه (الوشيعية): [ولو احتاجت الأمة إلى الإمام المعصوم ذرة احتياج لما ختم النبوة برسالة محمد ﷺ، ولم يكن محمد خاتم النبيين إلا لزوال الاحتياج ببركة القرآن الكريم، فدعوى احتياج الناس إلى الإمام المعصوم تنافي حكمة الله في ختم النبوة، فإن الاحتياج إما لقصور في بيان الكتاب، وإما لقصور في روح النبوة، وأما لقصور في التبليغ، فدعوى عصمة الإمام طعن في أصل الدين].

الفصل الرابع أهم الأصول العقلية التي اعتمدها علماء الشيعة

الفصل الرابع

وإليك أهم أصليين اعتمدهما علماء الشيعة في قضية الإمامة والعقائد والتي سنعتدهما في دراستنا هذه وهما:

الأصل الأول

قالوا بوجوب وجود إمام معصوم يهدي الناس في كل زمان وإلى قيام الساعة، واستدلوا على هذا الأصل بالعقل أصالة، وبالنقل تأييداً واعتضاداً، أي الأساس في استدلالهم والأصل هو العقل وليس النقل، وإليك بيان ذلك من أقوالهم:

1- ذكر الشيخ المفيد في (الارشاد) مبيناً أن العقل يحكم بوجوب وجود معصوم وبهذا الدليل العقلي لن تكون هناك حاجة إلى ذكر الأدلة النقلية، فيقول ص347: [ومن الدلائل على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح من وجود امام معصوم كامل غني عن رعاياه..... وهذا أصل لن يحتاج معه في الامامة الى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الاخبار لقيامه في قضية العقول وصحته بثابت الاستدلال].

2- ذكر الطوسي والملقب بشيخ الطائفة في (تلخيص الشافي) ج1 ص141: [اما وجود الامام وصفاته التي يستحقها (كالعصمة وغيرها) فمما لا يحتاج فيها الى النقل بل نعلمها من جهة العقول].

3- ذكر المرتضى في (الشافي) اقوالاً عديدة منها:

أ-قال (98/1):[لان المعلوم لهم اعتقاد وجوب الامامة واوصاف الامام من

طريق العقل والاعتماد عليها في جميع ذلك، وإن كانوا ربما استدلوا بالسمع استظهاراً وتصرفاً في الأدلة].

ب-قال (100/1): [لأن التواتر عندنا ليس بطريق الى اثبات عدد الأئمة في الجملة ووجودهم في الاعصار بل الطريق الى ذلك العقل وحجته].

ج-قال (67-66/1): [لأن العقل الدال على الحاجة الى الرئاسة في الجملة ووجوب اقامة الرؤساء لا يدل بنفس ما دل به على الحاجة في الجملة على صفاتهم المخصوصة (كالعصمة) واحوالهم المعينة بل لا بد في اثبات ذلك من الرجوع الى طريقة اخرى وهي وان كانت من جملة طرق العقل وادلتها].

د-قال (184/1): [اما المعرفة بوجود الامام في الجملة وصفاته المخصوصة (أي العصمة وغيرها) فطريقنا فيه العقل وليس نفتقر فيه الى تواتر].

هـ-قال (195/1): [اما وجود الامام وصفاته المخصوصة (العصمة) فليس نحتاج في العلم بها الى خبر بل العقل يدلنا على ذلك].

و-قال (128/1): [فعندنا ان بيان ذلك (أي الامامة) غير محتاج اليه (أي الرسول ﷺ) لان العقول تدل على وجوب الامامة وعلى صفات الامام وما يحتاج فيه اليه وما تدل العقول عليه ليس يجب بيانه من طريق السمع].

ز- قال (274/1): [لأننا قد بينا أن المعرفة بوجود امام معصوم حجة في كل زمان لا يفتر الى التواتر والنقل، بل هو مستفاد بأدلة العقول].

وخلاصة هذه الأقوال هي أن الشرع ليس طريقاً إلى معرفة وإثبات وجوب وجود معصوم في كل زمان عند الشيعة، بل الطريق هو العقل، لذلك صرحوا بأن الشرع لا يُعتمد عليه في إثبات هذا الأصل، لأنه ثابت عندهم بالعقل سواء ورد به الشرع أم لم يرد.

الأصل الثاني:

إذا تعارض العقل مع النقل يقدم العقل ويؤول النقل إن كان له تأويل سائغ،

ويطرح إن لم يكن له تأويل سائغ، ومقصودهم بالعقل أي الدليل العقلي، والنقل أي

الدليل النقلى-الكتاب والسنة- وإليك بيان مختصر لهذا الأصل من أقوالهم:

1- يقول شيخ الطائفة الطوسي: [هذه أخبار آحاد لا ترد لها أدلة العقول الدالة على بطلان التحايط . ولو صحت لتأولناها كما نتأول ظاهر القرآن لتلائم أدلة العقل]⁽¹⁾.

2- ينقل المجلسي قول الشيخ المفيد وهو: [وذلك أني لو خليت وظاهر قوله تعالى لموسى عليه السلام : (لا تخف) وقوله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) : (لا يحزنك قولهم) وما أشبه هذا مما توجه إلى الأنبياء عليهم السلام لقطعت على أنه نهى لهم عن قبيح يستحقون عليه الذم ، لان في ظاهره حقيقة النهي من قوله : (لا تفعل) كما أن في ظاهر خلافه ومقابله في الكلام حقيقة الامر إذا قال له : (افعل) لكنني عدلت عن الظاهر لدلالة عقلية أوجبت علي العدول ، كما يوجب الدلالة على المرور مع الظاهر عند عدم الدليل الصارف عنه، وهي ما ثبت من عصمة الانبياء عليهم السلام التي ينبئ عن اجتنابهم الآثام]⁽²⁾.

3- يذكر السيد المرتضى في كتابه (تنزيه الانبياء) أقوالاً عديدة منها:

أ- قال ص 33: [فأما ما يدعى في هذا الباب من الحديث فلا يلتفت اليه لأن الأخبار يجب أن تُبنى على أدلة العقول ولا تُقبل في خلاف ما تقتضيه العقول ولهذا لا نقبل أخبار الجبر والتشبيه ونردها أو نتأولها إن كان لها مخرج]

ب- قال ص 171: [قلنا لا شبهة في أن كل خبر اقتضى ما تنفيه أدلة العقول فهو باطل مردود إلا أن يكون له تأويل سائغ غير متعسف فيجوز أن يكون صحيحاً ومعناه مطابق للأدلة] .

ج- قال ص 45: [قلنا قد بينا بالأدلة العقلية التي لا يجوز فيها الاحتمال ولا خلاف أيضاً أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكذب فما ورد بخلاف ذلك من الأخبار لا يُلتفت اليه ويقطع على كذبه إن كان لا يحتمل

(1) الرسائل العشر- الشيخ الطوسي ص 325 .

(2) بحار الأنوار ج 10 ص 419 .

تأويلاً صحيحاً يليق بأدلة العقل، فإن احتمل تأويلاً مطابقاً تأولنا به ووقفنا بينه وبينها، وكذا نعمل فيما يُروى في الأخبار التي يتضمن ظاهرها الجبر والتشبيه].

4- قال المقداد السيوري في كتابه (الأنوار الجلالية) ص 155: [والثاني هو المخالف للعقل فنقول: إذا تعارض العقل مع النقل فلا يجوز العمل بهما وإلا لزم الجمع بين النقيضين، ولا ترك العمل بهما وإلا لأرتفع النقيضان، ولا العمل بالنقل وإطراح العقل وإلا لزم إطراح النقل أيضاً لأن العقل أصل النقل لأنه منتهى إلى قول الرسول ص الثابت صدقه بالعقل فيكون أصلاً له فلم يبق إلا العكس وهو العمل بالعقل، وأما النقل فلا يطرح بل للعلماء في ذلك مذهبان: أحدهما: أن يتوقف فيه إلى أن يظهر سره أو يفوض علمه إلى الله تعالى. وثانيهما: أن يأول تأويلاً لا ينكره العقل].

5- يقول الشيخ لطف الله الصافي: [فالأصل في الإعتقاد بعصمة النبي والإمام، ووجوب كون الإمام معصوماً هو حكم العقل، والشرع يؤيد العقل في حكمه هذا، وذلك لأن العقل قاطع بوجوب اتصاف النبي والإمام بالعصمة، والشرع إنما يكون المرجع الأول في كل مورد لو حكم فيه بالإيجاب أو السلب لم يكن حكمه بأيهما مغايراً لحكم العقل.... ففي مسألة عصمة الأنبياء العقل هو المرجع الأول، ويحكم بوجوب كون النبي معصوماً لأدلتته⁽¹⁾].

6- يقول آيتهم العظمى الميرزا جواد التبريزي: [وحيث أن ظاهر الآية هو ما ذكرنا فلا يصح رفع اليد عن هذا الظاهر إلا بقريضة عقلية أو نقلية⁽²⁾].
واليك بيان هذا الأصل بمثال حيث طبقوا مضمونه عملياً في مسألة عصمة الأنبياء إذ أجمع الإمامية على الاعتقاد بعصمة الأنبياء من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، عمداً وسهواً، ومن الولادة إلى الموت، واستدلوا على هذه العقيدة بالعقل، ولما وجدوا في القرآن آيات تصرح بأخطاء الأنبياء ومعاصيهم وتذكر ذلك بصراحة وبيان واضح، مثل قوله تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: 121-122)، وقوله: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: من الآية 2) وقوله: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ

(1) مجموعة الرسائل - الشيخ لطف الله الصافي ج 1 ص 47 .

(2) صراط النجاة ج 3 ص 447 .

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٥-١٦﴾
(القصص: 15-16).

وغيرها كثير من الآيات، فقالوا إما أن نترك الدليل العقلي على عصمتهم المطلقة ونتبع دلالة هذه النصوص، أو أن نتبع الدليل العقلي ونؤول هذه الآيات، وهذا ما فعله السيد المرتضى في كتابه (تنزيه الأنبياء والأئمة) فأخذ يتكلف جداً بتأويل هذه الآيات الكثيرة والصريحة ليبقى الدليل العقلي هو المرجح ويدفع المعارض من النصوص وذلك بتأويلها⁽¹⁾، وممن صرح بذلك المثال على الأصل المذكور من علمائهم:

1- يقول شيخ طائفتهم الطوسي: [وأما ما يستدل من الظواهر التي يقتضي ظاهرها وقوع المعصية من الانبياء نحو قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى " فقد بينا الوجه فيه في التفسير واستوفاه المرتضى في التنزيه لا يحتمل ذكر ذلك ههنا . بل نقول : الظواهر تبني على أدلة العقول ولا تبني أدلة العقول على الظواهر ، وإذا علمنا بدليل العقل أن القبيح لا يجوز عليهم تأولنا الآيات ان كانت لها ظواهر وان كان اكثرها لا ظاهر له على ما بين هناك]⁽²⁾.

2- يقول محققهم الحلي: [وأما ما تضمنه الكتاب العزيز وكثير من الأخبار من ما ظاهرة وقوع المعصية ، فمحمول على ضرب من التأويل ، لئلا تتناقض الأدلة . ولنذكر طرفاً من ما نسب إلى أفاضل الأنبياء ليكون الجواب عنه معينا عن ما نسب إلى غيرهم . كقوله تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى) . وقوله في قصة نوح : (إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) . وقوله تعالى مجيباً : (إنه ليس من أهلك) . وقوله في قصة إبراهيم : (واغفر لأبي إنه كان من

(1) ذكر السيد حسن بن سيد احمد الاسكندري وهو شيعي في كتابه (رسالة في مسائل الخلاف) ناقلاً لقول محمد بن عبد النبي: [أما ترى ان المفيد والمرضى انكروا احاديث الذر والميثاق واخبار الانوار والاشياح وسبق خلق الارواح وكذلك احاديث الطينة واحاديث الاحباط مع موافقتها للآيات، فردوا الاخبار والآيات] لان ظاهرها يخالف قواعدهم العقلية، وهذه الرسالة هي نسخة مخطوطة بدائرة الآثار والتراث برقم (26995).

(2) الاقتصاد- الشيخ الطوسي ص 162.

الضالين). وقوله : (هذا ربي) تارة عن النجم ، وتارة عن القمر ، وتارة عن الشمس . وفي قصة موسى : (إن هي إلا فتنتك) . وفي قصة عيسى : (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) مع علمه بكفرهم ، وأن الكافر لا يغفر له . وفي قصة محمد : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) . (ووجدك ضالاً فهدى) . (ووضعنا عنك وزرك) . لأن العصيان هو المخالفة وكما يحتمل أن تكون المخالفة في واجب ، يحتمل أن يكون في مندوب ، ومع احتمال كل واحد من الأمرين ، يجب تنزيله على ترك المندوب ، ليسلم الدليل العقلي عن الطعن [1].

الفصل الخامس عرض المناظرة بين القادياني والشيوعي

الفصل الخامس

قبل الدخول في المناظرة لا بد من الإشارة أولاً إلى أن كلاً من القاديانيين والشيعة يسعون إلى هدف واحد مشترك وهو "إثبات وجوب وجود مرشد إلهي في كل وقت بعد النبي ﷺ وإلى قيام الساعة" وهذا المرشد إما أن يكون نبياً كما عند القاديانيين، أو شخصاً له من الصفات ما للنبي ﷺ فهو شبيهه بالنبي كما عند الشيعة مُمثلاً بالإمام المعصوم (1).

إذاً فالاتفاق حاصل بينهم على أصل القضية وإنما وقع الخلاف بينهم في فرعها متمثلاً باسم هذا المرشد الإلهي، وهل هو نبي على قول القاديانيين أو إمام على قول الشيعة ... ومن أجل أن نفهم بوضوح أكثر سبب هذا التوافق الجوهرى بين أصحاب هاتين العقيدتين ونعرف سرّه، لا بد لنا أولاً من الوقوف على حقيقتين هامتين هما:

الأولى:

(1) فمن أقوال علماء الشيعة التي صرحت بأن صفات الإمام هي نفس صفات النبي ﷺ قال عبد الحسين دستغيب في كتاب الإمامة من سلسلة أصول الدين (6/2): [يجب أن يكون الإمام مشابهاً للرسول ﷺ تماماً]، وقال: [فالنائب لأي شخص يجب أن يكون مماثلاً لذلك الشخص خليفة الرسول ﷺ يجب أن يماثل الرسول من حيث العلم والعمل، بحيث لو رآه أي شخص فكأنما رأى الرسول ص]، وقال محمد تقي مصباح اليزدي في كتابه (دروس في العقيدة الإسلامية) ص331: [الإمام الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام ﷺ كلها عدا النبوة والرسالة]، ويقول محسن الخرازي في (بداية المعارف الإلهية) جزء 1 ص11: [كما انه (أي الإمام) يتصف بصفات النبي أيضاً لكونه خليفة له، فان كان النبي معصوماً فهو أيضاً معصوم.... وهكذا فالإمام يقوم مقام النبي في جميع صفاته عدا كونه نبياً] ويقول أيضاً جزء 2 ص40: [فكل ما كان النبي معصوماً عنه كذلك يكون الإمام معصوماً عنه]، ويقول محمد رضا المظفر في (عقائد الإمامية) ص104: [ونعتقد ان الإمام كالنبي يجب ان يكون معصوماً].

إن كل دليل عقلي يثبت وجوب بعثة الأنبياء على الله تعالى لهداية الخلق قد اقتبسه الشيعة واستخدموه لإثبات معتقدهم على وجوب نصب الأئمة على الله تعالى لتحقيق الغرض نفسه -هداية الخلق-، والشاهد على اقتباسهم هذا الدليل في إثبات معتقدهم هو اعتراف علمائهم الصريح بذلك ومنهم:

1- قال المظفر: [فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول]، وقال ص 104: [والدليل الذي اقتضانا ان نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقضي ان نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق]⁽¹⁾.

2- وقال آيتهم العظمى مكارم الشيرازي في كتابه (دروس في العقائد الإسلامية) ص 189 تحت عنوان (فلسفة وجود الإمام): [إن البحوث التي أثبتنا بها ضرورة بعث النبيين تبين كذلك إلى حد كبير ضرورة وجود الإمام بعد النبي]، وقال ص 188: [ولسوف نثبت في بحوثنا التالية وجوب أن يكون في كل عصر وزمان ممثل إلهي نبي أو إمام معصوم].

3- قال علامتهم وشيخهم محمد جميل حمود في كتابه (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) (400/1): [وبما أن الغرض من الخلق هو وصول الإنسان إلى كماله اللائق به وهو المعرفة كما قال تعالى (وما خلقت...) كان اللازم بحكمته ورحمته أن يرسل سبحانه لخلقه أناس مطهرين يرشدونهم إلى عبادة الله تعالى ... من هنا تجب بعثة الأنبياء والأئمة بمناط واحد]، وقال

(72-71/2): [ووجوب اللطف لا يختص بالأنبياء والمرسلين، بل يشمل الأوصياء والأولياء المنصوصين من قبل الله تعالى، لأن مهام هؤلاء كمهام أولئك بمناط واحد لا يختلفون عن بعضهم البعض إلا في تلقي الوحي التشريعي].

(1) عقائد الإمامية لعلامتهم وحجتهم محمد رضا المظفر ص 103.

4- نقل السيد المرتضى نص قول القاضي عبد الجبار بأن الشيعة انتهوا بصفات الإمام إلى النبوة حيث قال: [لكنهم انتهوا بالإمام إلى صفة النبوة وربما زادوا وربما نقصوا ، وهم الذين يوجبون الحاجة إلى الإمام من حيث لا يتم التكليف ولا حال المكلفين إلا به] فأجاب بأنه أشركوا الإمام مع النبي من حيث وجوب وجوده والأدلة على ذلك لا من حيث صفاته فقال: [فظن بعيد، لأن من أوجب الحاجة إلى الإمام من حيث لا يتم التكليف إلا به لم يجعله نبياً، ولا بلغ به إلى صفة النبوة ، وليس من حيث شارك الإمام النبي في الحاجة إليه من هذا الوجه يكون نبياً] الشافي (1/39) .

5- وقال محسن الخرازي في (بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية) جزء 2 ص 40: [وكيف كان فالكلام في متعلق العصمة ايضاً واضح بعدما عرفت من وحدة الدليل في باب النبوة والإمامة]، وقال (2/25): [أن النبوة والإمامة كليهما مما يقتضيهما كماله المطلق ورحيميته المطلقة وإلا لزم الخلف في كونه كمالاً مطلقاً كما لا يخفى، وأما بناء على التقريب الكلامي فتقريبه كالتقريب الذي مضى في النبوة] .

6- قال السيد محمد مهدي الخراسان محقق كتاب الألفين للعلامة الحلي ص 125: [ولو جاز إهمال نصب الإمام مع حسنه بل مع كونه أحسن لجاز إهمال بعثة النبي ، فإن بعثة الأنبياء ما كانت إلا من ناحية الرأفة والرحمة واللفظ والعلّة واحدة في الجميع ، فكيف يصح استعمالها في النبي وإهمالها في الإمام مع أن الحاجة من البشر واحدة والداعي من قبله عز شأنه واحد] .

7- قال الشيخ محمد حسن آل ياسين ص 22: [وهكذا يكون كل ما دل على ضرورة النبوة ووجوبها صالحاً للاستدلال به على وجوب الإمامة]⁽¹⁾، وقال ص 23: [ولذا رأيت الشيعة أن الإمامة واجبة وجوب النبوة، ضرورة ضرورتها] .

8- يقول علامتهم إبراهيم الأميني تحت عنوان (النبوة العامة): [تنسحب البراهين والأدلة العقلية التي تثبت وجوب النبوة على الله عزوجل على الإمامة في غياب الأنبياء والرسل، فلا بد من وجود فرد معصوم اختاره الله واصطفاه لعباده لإقامة الدين وتطبيق الشريعة في حياة الناس، ومن هنا فإن بحث مسألة النبوة العامة أمر ضروري للتمهيد من أجل بحث الإمامة في ضوء العقل]⁽²⁾ .

(1) كتاب (الإمامة) للشيخ محمد حسن آل ياسين.

(2) دراسة عامة في الإمامة لعلامتهم إبراهيم الأميني ص 93.

الثانية:

في مقام الحوار والمناظرة فإن كل دليل استخدمه الشيعة على وجوب استمرار الإمامة سيستخدمه القادياني على وجوب استمرار النبوة، بمعنى أنه سيستخدم نفس أدلة الشيعة ضدهم في المناظرة ليثبت دعواه وليضعهم في موقف حرج لا يحسدون عليه بوجوب اختيار أحد أمرين لا يمكن الجمع بينهما ولا ثالث لهما وهو إما أن يُسَلِّموا للقاديانية بصحة ما ذهبوا إليه وعندها سيخسرون المناظرة لتكون الغلبة للقاديانيين، أو أن يتخلَّوا عن أدلتهم ويعلنوا بطلانها، لأن القادياني اعتمدها بنصها وقلبها عليهم.

ففي ضوء هاتين النتيجةين واتفاقهم على أصل القضية⁽¹⁾ سيسير الحوار، ولنعرض بعد هذه الإشارة والتمهيد المناظرة والحوار:

القادياني:

ان العقل يحكم بوجوب استمرار النبوة ووجود نبي في كل زمان إلى قيام الساعة (2).

(1) قد يقول البعض أن القادياني متطفل اقتات على نتاج عقول الإمامية التي أنتجت أدلة تثبت معتقدتهم في الإمامة ومن ثم اقتبسها واستخدمها في اثبات معتقده في النبوة - وهذا التصور قد يتولد بسبب سوقي للحوار بهذه الصورة في اعتماد القادياني على أدلة الشيعي - إلا أن الحق بخلافه لأن الشيعة باعتراف علمائهم اعتمدوا على أدلة وجوب الحاجة إلى النبوة التي ساقها علماء الإسلام في كتبهم العقائدية والكلامية، ومن ثم استخدموها لإثبات معتقدتهم - كما ذكرنا اعتمادهم باعتراف علمائهم في الحقيقة الأولى - وبالتالي يكون الشيعة هم المتطفلون على غيرهم في اقتباس أدلتهم واستخدامها، أي أن الأصل في الأدلة أنها صيغت للنبوة مما يجعل القاديانية ومعتقدهم الضال هم الأصل في الباب ثم تطَّلت عليها الشيعة واقتبسوها منهم لدعم دعواهم في الإمامة، فالشيعة هم المقتبسون التابعون والقاديانية - مع كفرهم وضلالهم - هم المتبوعون.

(2) هذا الاستدلال للقادياني يستطيع ان يلزم به الامامي لانه اشترك معه بنفس الاصل وهو الاعتداد والاعتماد على الدليل العقلي سواء وافقه الشرع ام لا، اما اهل السنة فلا يرد عليهم هذا ◀ الالزام لانهم جعلوا المرجع والتحاكم الى الشرع فمهما يقرر العقل فلا يعتد به ما لم يؤيده دليل من الشرع،

الشيعة:

ما دليلك على ان العقل يحكم بوجود استمرار النبوة؟

القادياني:

هناك ثلاثة أدلة أثبت بها وجوب استمرار النبوة ولن تستطيع ردها لأنها مؤيدة بأقوال علمائك الذين يثبتون أصل المعنى نفسه الذي نبني عليه قولنا.

الشيعة:

اذكرها لي.

القادياني:

وعندما تأتي الشريعة بأمر يسقطون الاعتراضات والافتراضات التي يفرضها العقل مثل (كيف وليت ولولا ولم) لأنه عاجز عن ادراك الحكمة في كل امر، فيقول ابن القيم حول هذا الموضوع في (مختصر الصواعق المرسله) ص87: [كما قال بعض اهل الايمان يكفيك من العقل ان يعرفك صدق الرسول ومعاني كلامه ثم يخلي بينك وبينه، وقال آخر: العقل سلطان ولى الرسول ثم عزل نفسه] وقال ص88: [لان العقل قد شهد للشرع والوحي بانه اعلم منه وانه لا نسبة له اليه وان نسبة علومه ومعارفه إلى الوحي اقل من خردلة بالاضافة الى جبل... وقال: ان الشرع مأخوذ عن الله بواسطة الرسولين الملك والبشر بينه وبين عباد، مؤيداً بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ويقتضيه تارة ويستحسنه تارة ويجوزه تارة ويضعف عن دركه تارة فلا سبيل له الى الاحاطة به ولا بد من التسليم والانقياد لحكمه والاذعان والقبول، وهناك تسقط (لم) وتبطل (كيف) وتزول (هلاً) وتذهب (لو، وليت) في الريح، لان اعتراض المعترض عليل مردود، واقتراح المقترح ما ظن انه اولى منه سفه، وجملة الشريعة مشتملة على انواع الحكمة علماً وعملاً، حتى لو جمعت حكّم جميع الامم ونُسبت اليها لم تكن لها اليها نسبة، وهي متضمنة لأعلى المطالب بأقرب الطرق واتم البيان...] لذلك استراح اهل السنة من الصداع وضياع الوقت في مجادلة هؤلاء القاديانيين الكفار، ولم نسترسل معهم ببيان العلة والمناقشة العقلية، بل نقول ان قولكم باطل بقوله تعالى ﴿ما كان محمدٌ أباً احدٌ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وبقوله ﷺ ((انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي)) ولا نتجاوز هذا النص ونحوض بعقولنا لمّ ختمت النبوة وكيف وهلاً، كما فعل الحائرون المضطربون لانه سبحانه ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به، وكما قيل:
فَعَدَّ النّقل سالماً من منافعٍ واسترحنا من الصداع جميعاً

الدليل الأول

قد ثبت بلا خلاف أن بعثة الأنبياء رحمة من الله تعالى بالعباد لهدايتهم، فقد قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء (107).

وكذلك ذكر سبحانه تفضله ومَنِّه على المؤمنين ببعثة النبي ﷺ فقال تعالى:

﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ آل عمران (164).

وقال تعالى حاكياً عن موسى ﷺ قوله ﴿واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله

عليكم إذ جعل فيكم أنبياء...﴾ المائدة (20).

وعليه يكون بعث الأنبياء لطفاً ورحمة لغرض هداية الناس إلى الحق .. وهذا أمر لم نفرده به نحن بل وافقنا عليه علماءكم الذين صرحوا بوجوب بعث الأنبياء، وإليك نص كلام من صرح بذلك:

1- قال علامتهم محمد رضا المظفر: [ولأجل هذا يعسر على

المتمدن المثقف، فضلاً عن الوحشي الجاهل، أن يصل بنفسه إلى جميع طرق الخير والصلاح ومعرفة جميع ما ينفعه ويضره في دنياه وآخرته فيما يتعلق بخاصة نفسه أو بمجتمعه ومحيطه مهما تعاضد مع غيره من أبناء نوعه ممن هو على شاكلته وتكاشف معهم، ومهما

معهم . المؤتمرات والمجالس والاستشارات، فوجب أن يبعث الله تعالى

في الناس رحمةً لهم ولطفاً بهم ﴿رسولاً منهم﴾

يُتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

(الجمعة:2)، وينذرهم عما فيه صلاحهم وسعادتهم، وإنما كان اللطف من الله تعالى

واجباً ، فلأن اللطف بالعباد من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده الجواد

الكريم، فإذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الجود واللطف فإنه تعالى لا بد أن

يفيض لطفه، إذ لا بخل في ساحة رحمته ولا نقص في جوده وكرمه⁽¹⁾.
 2- قال آيتهم العظمى مكارم الشيرازي في كتابه (دروس في العقائد الإسلامية) ص134 عن وجوب بعثة الأنبياء: [فهل الله الذي لا يغفل عن حاجات الانسان الدقيقة هذه يمكن أن يحرم الإنسان من هاد وقائد موثوق به ومعصوم من الخطأ ويأتمر بأوامر الله ووحيه؟ يقول الفيلسوف المعروف بابن سينا في كتابه (الشفاء) المشهور: (لا شك أن حاجة الإنسان إلى إرسال الأنبياء إليهم لبقاء النوع وبلوغ الكمالات أشد ضرورةً من نمو الأهداب والحواجب وتقعير باطن القدم وأمثالها، وذلك لأنه ليس من الممكن أن يوجب الله سبحانه وتعالى تلك الأمور ولا يوجب هذا الأمر؟!]

3- قال علامتهم الحلي ص 138: [اعلم يا ولدي أن وجود النبي لطف عظيم ورحمة تامة].

فإذا ثبت أن بعثة الأنبياء واجبة لأنها رحمة من الله تعالى ونعمة باعتراف علمائكم فقولكم بختمها وانقطاعها باطل لتضمنه الطعن بالله تعالى⁽²⁾ ، وبيانه بأن

(1) عقائد الإمامية لعلامتهم وحجتهم محمد رضا المظفر ص86.

(2) فمن أقوال القاديانية التي تضمنت هذا المعنى، وقد نقلنا معظمها من كتاب (القاديانية والاستعمار الإنكليزي) لمؤلفه عبد الله سلوم السامرائي ما يلي:-

أ- يعتبر القرآن النبوة رحمة، فموسى عليه السلام يخاطب شعبه قائلاً {اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً} فإذا كانت النبوة رحمة من الله تعالى وكذلك ثبت ان لا تبديل في سنة الله، فكيف يجوز لأي احد ان يزعم عقلاً او نقلاً عدم مجيء نبي أو رسول عند الحاجة بعد النبي صلى الله عليه وآله.... لا يمكن ان نفهم كيف يظنون ذلك ويقعون في هذا الخطأ مع انهم يعتقدون ان رسول الله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين. [مجلة اخبار الفضل المجلد 120 العدد 133 في 1934/5/8].

ب- وقد زعموا -أي المسلمون- ان خزائن الله قد نفذت وما زعمهم هذا إلا لانهم لم يقدروا الله حق قدره وإلا فاني اقول انه لا يأتي نبي واحد فقط بل يأتي ألوف من الأنبياء [انوار خلافت لميرزا بشير الدين محمود احمد ص62].

ج- ان من نعم الله ان يجيء الأنبياء وان لا تتقطع سلسلتهم وهذا قانون الله لا تستطيعون ان تجابهوه. [الميرزا غلام احمد: من خطاب سيكلوت ص22]. ◀

د- نحن -أي القاديانية- نعتقد بأن الله لا يزال يرسل الأنبياء لاصلاح هذه الامة وهدايتها على حسب الضرورة. [مجلة الفضل في 14/مايس/1925].

هـ- مذهبنا ان الدين الذي انقطعت فيه سلسلة النبوة ليس بدين حي، ونقول للاديان الاخرى انها

نقول لكم هل تقولون أن سبب ختمها هو لنفاد خزائن الله تعالى من هذه الرحمة فلم يعطها للعباد بعد نبينا محمد ﷺ؟!؟

فإن قلت كلاً لم تنفد خزائن الله تعالى من هذه الرحمة بل عنده منها أضعافاً مضاعفة لأن القول بنفاد خزائنه سبحانه كفر بواح مخالف لقوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جُنُثًا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف: 109).

فنقول لكم لماذا إذاً خصّها سبحانه ببعض العباد - الذين عاصروا النبي ﷺ - وحرّم الآخرين منها ممن جاؤوا بعد نبينا ﷺ إلى قيام الساعة مع ثبوت حاجة الجميع لهذا اللطف والرحمة؟! في الوقت الذي صرح فيه علماءكم بأن تخصيص بعض الناس باللطف والرحمة وحرمان الآخرين منها مع حاجة الجميع إليها، يتنافى مع عدل الله تعالى ورحمته بجميع عباده.

الشيعة:

ما هو الدليل على أن علماءنا منعوا تخصيص اللطف والرحمة ببعض المكلفين وحرمان الآخرين منها؟!؟

ليست حية لاجل انه لم تبق فيها سلسلة النبوة مثل اليهودية والمسيحية والهندوكية، فاذا كان حال الاسلام كذلك لا يكن هناك فرق بين الاسلام والديانات الاخرى... [محمود احمد بن الميرزا (حقيقة الوحي) ص272].

و-هل يمكن ان يجيء الأنبياء في المستقبل؟ نعم يجيء الأنبياء والى يوم القيامة لانه ما دام الفساد باقي في الدنيا لابد وان يجيء الأنبياء. [ال خليفة الثاني: انوار الخلافة ص62].

ز-ان القول بختم النبوة واغلاق بابها يستلزم انقطاع الفيوضات وفيه شؤم ونحس وقسط من منصب النبي، وكذلك تكذيب قول الله {كنتم خير امة} لان اغلاق النبوة لا يتلائم وخير الامة بل الامة بعد انقطاع النبوة تصبح شرامة، وكذلك تنخفض درجة النبي ﷺ من درجة موسى عليه السلام لان الله بعث مئات الأنبياء بعد موسى، فكأن الله يكره امة النبي ﷺ ولا يتكلم معهم لان المحبة تستلزم المكاملة والمخاطبة. [ميرزا غلام احمد (رسالة ختم النبوة) ص6].

القادياني

إن بطلان تخصيص اللطف والرحمة ببعض المكلفين وحرمان الآخرين منها يعتبر أمراً مُسلماً به عند علمائك حتى أنهم جعلوه من البديهيات العقلية التي اعتمدها كدليل عقلي لإثبات معتقدتهم في الإمامة بوجوب وجود إمام معصوم في كل زمان وإلى قيام الساعة فقالوا بأن عدم هذا الإمام المعصوم بعد النبي ﷺ يستلزم تخصيص بعض الناس بالرحمة وحرمان الآخرين منها وهذا ينافي عدله ورحمته لجميع عباده في كل عصر ووقت، فمن أقوال علمائك الذين اعتمدوا على هذه المُسلّمة العقلية ما يلي:

1- يذكر علامتهم ابن المطهر الحلي عدة أقوال أثبت فيها هذه المُسلّمة واعتمد عليها في الإمامة فمن أقواله (1) :

أ- ص 396: [أما بعد وفاته ﷺ فيحتاج إلى الامام لأنه هو القائم مقامه، واللطف عام لكل الأزمان والأشخاص، لأنه تعالى عام الفيض والجود والكرم، ولا يخص عنايته تعالى بأمة دون أمة ولا بأهل عصر دون عصر].

ب- ص 397: [والحكمة والرحمة تقتضيان نصب نائب للنبي ﷺ يفعل كفعله ويقوم مقامه فيما ذكرناه من الله تعالى وإلا لم يتم الغرض من بعثة النبي لأن رحمته لا تختص بأهل عصر دون عصر].

ج- ص 394: [فينبغي أن يكون للامام هذه الكرامة التي للنبي ﷺ وإلا لزم تخصيص بعض الأئمة باللطف الحاصل من النبي دون بعض وهو ترجيح بلا مرجح وهو باطل].

د- ص 125-126: [إن هذه المنافع وهذه الشفقة وهو دعاء الرسول بلين وعفوة واستغفاره أمر عظيم ورحمة تامة لا يجوز تخصيص البعض بها دون البعض، فيجب ذلك في كل عصر، ويستحيل من الرسول لأنه خاتم الأنبياء فلا يأتي نبي غيره ولم يحصل البقاء له في الدنيا، فلا بد من قائم مقامه متيقن متابعته له في أفعاله (ع) وليس ذلك إلا المعصوم فيجب في كل عصر]، قال محقق الكتاب على هذا الكلام: [فلا بد من المصلح الناطق في كل زمان لأن الخلق كلهم شرع

(1) نقلنا أقواله من كتابه حول الإمامة (الألفين) الذي أراد أن يورد فيه ألفي دليل على صحة معتقدتهم في الإمامة، بتحقيق السيد محمد مهدي الخرسان.

سواء في العطف واللطف والشفقة والرحمة من الخلاق اللطيف فكيف يخص زماناً وجيلاً دون الأزمنة والاقبال الاخرى بعطفه واطفه وهو اللطيف الرحيم في كل عهد ومع كل جيل].

هـ- ص 416 : السادس : قوله تعالى : (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) أقول ذكر ذلك مدحا لمن يقتل في سبيل الله أو يموت في سبيل الله وهذا المدح لا يختص بأهل زمان النبي بل هي عامة لكل الأزمان التي فيها إمام فإن هذا لطف عظيم في حق المكلف فلا يختص بأهل زمان دون زمان وأيضا الاجماع من المسلمين على عمومها للأزمان التي فيها إمام وذلك الإمام هو الأمر بالقتال الذي إذا قتل فيه المؤمن كان في سبيل الله ولا يتحقق ذلك إلا مع عصمة الإمام فإن غير المعصوم لا يؤمن على سفك الدماء ولا على قتل النفس .

و- ص 382 : [الثالثة: إن اختلاف الآراء وتضاد الشهوات واستهانة الجهال بالشريعة يقتضي اختلال نظام النوع إذا تقرر ذلك فنقول الآية تقتضي أنه لا بد من نصب رئيس واحد يأمر الكل وينهاهم ويحملهم على ذلك وإلا لزم وقوع أحد الأمرين أما وقوع الهرج والمرج واختلال نظام النوع إذ كل واحد يقول إن أمري هو المعروف ونهيي هو المنكر لأن كل واقعة مهمة فيها حكم وليس كل الأحكام معلومة للكل وجعل الاجتهاد من أي من اتفق مناطا يؤدي إلى وقوع الفتن واختلال نظام النوع ونقض الغرض من التكليف وأما زوال التكليف أو عمومه في أحد ما ذكرنا وهو باطل بالاجماع ولا بد أن يكون ذلك الرئيس لا يجوز عليه الخطأ وأن يعمل منكرا أو يترك معروفا وإلا لاحتاج إلى إمام آخر وتسلسل ووقع الهرج واختلال نظام النوع ولا بد منه في كل زمان لأن تخصيص بعض الناس في بعض الأوقات بالمعصوم دون بعض ترجيح من غير مرجح وذلك هو الإمام فظهر أن الإمام معصوم ويجب في كل زمان]

ز- قال ص 332-333 : [فنقول : قد ثبت في علم الأصول إن لله تعالى في كل واقعة حكما واحدا وقد ثبت من هذه الآية أنه لا بد من طريق للمكلف إلى العلم بذلك الحكم يجعله الله تعالى وينصبه وذلك الدليل قد بينا أنه إما المعصوم أو غيره مثل الالهام والتواتر والاجماع والله تعالى قادر على أن يفعل ذلك لكن الثاني لم يتحقق في كل مكلف في كل واقعة من أول بعثة الأنبياء إلى آخره فهو خلاف جرى العادة فتعين الأول وإلا لكان الله تعالى مخلا بالواجب وناقضا لغرضه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين المعصوم فنقول تخصيصه ببعض الأزمان وبعض المكلفين ترجيح بلا مرجح فلا بد في كل زمان من معصوم واجب العصمة يكون قوله سندا للأحكام الشرعية ودليلا برهانيا قاطعا عليها يفيد العلم وذلك هو الإمام وهو المطلوب] .

ك-قال ص 138: [اعلم يا ولدي أن وجود النبي لطف عظيم ورحمة تامة لا يعرفها أهل الدنيا ورحمة الله واسعة لا تختص بزمان دون زمان ولا بأهل عصر دون عصر آخر ولا يحصل البقاء السرمدي للبشر في دار الدنيا ، فلا بد من وجود شخص قائم مقامه في كل عصر ولهذا قرن تعالى في : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) طاعته بطاعته فعليك بالتمسك بولاية الأئمة الاثني عشر فإنها الصراط المستقيم والدين القويم، هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك ، ثم تولى عني ماشيا فوددت لو قبضت نفسي ولم تفارقه لكن الحكم لله الواحد القهار .

ل-قال ص 336-337: [التاسع والعشرون : فائدة الخليفة تكميل قوى العلم والعمل لسائر الخلائق وتكميل كل مستعد على قدر استعداده ولما كانت مراتب الناس في الاستعداد متفاوتة في الكمال والنقصان وجب أن يكون المكمل الموصل كل مستعد إلى أقصى نهاية كماله كاملا في القوتين العملية والعلمية أصلا في الكمال إلى أقصى نهاية الكمال البشري ولا يتحقق ذلك مع غير العصمة فوجب أن يكون معصوما وهذا المعنى الموجب مشترك في كل خليفة لله تعالى في أرضه فيجب عموم الحكم لعموم العلة وهذا مقتضى الحكمة الإلهية والخليفة كما يقال على النبي صلى الله عليه وآله يقال على الإمام عليه السلام ولأن النبي لا يعم في كل عصر وهو ظاهر فلو اختص ذلك بالنبي لاختص باللطف بعض الأمة لكن رحمة الله عامة شاملة لكل وعنايته في حق أهل كل عصر وجب الإمام].

م-قال ص 450: [العشرون : قال الله تعالى : (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) اعلم أن هذه الآية تدل على أن الاهلاك للفاسقين بذنوبهم إنما هو بعد أن تحيئهم البينات - أي الأمور المفيدة للعلم والرسول إنما يركبون الحجة بعد تبليغ ما يفيد العلم وهذا عام في كل الأزمان والإلّا لمنعت بعض الأمة من اللطف هذا خلف ومع عدم إمام معصوم لا يحصل ما يفيد العلم لأن ظواهر القرآن والأحاديث لا تفيد العلم فلا بد من إمام معصوم في كل الأوقات وهو المطلوب].

ن- ص 293-294: [قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا﴾ الآية، وجه الاستدلال يتوقف على مقدمات، احداها: إن رحمة الله متساوية بل على أمة محمد ﷺ أولى، الثانية: إمامة محمد ﷺ اشرف من سائر الأمم لقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، الثالثة: ان لطف الامامة كلطف النبوة، اذا تقرر ذلك فنقول: لطف الله في حق الامامة الذين كذبوا وانكروا الرسالة عليهم بعد

التكذيب، ولا لطف اعظم من طريق مفيد للعلم بطريق الآخرة وتحصيل السعادة الابدية والدلالة على الاحكام الشرعية وحفظها بمعصوم، فهل يتلطف الله بالكفار ولا ينصب لأمة محمد ﷺ من بينهم ويخبرهم فمن يفيد قوله اليقين وهم اشرف الامم وعناية الله تعالى بهم اتم، هذا لا يتصور] (1).

2- ذكر العالم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتاب (الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف) ص 10 [ونعتقد ان رسله - عليهم السلام - معصومين من الخطأ والزلل مأمون منهم وقوع السهو والخطأ بحيث تحصل الثقة بما يقولونه انه منه، ولا يقع شك فيما يذكرونه عنه، وانه ما قبض رسولاً حتى امره ان يوصي الى من يقوم مقامه في أمته وفيما يجب له في حفظ كتابه وشريعته، وان القائم مقامه على صفات نبيه في العصمة، وكلما يجب له يجب للنائب من صفات الكمال ليوثق به في كل ما يتركه او يفعله ويقتي به فيه وفي سائر الأحوال، لان الله علم ان الخطأ جائز على رعيته فلا بد من يقوم مقام نبيه، فلم يكن لهم بدّ من معصوم يرجعون اليه ويحتج به عليهم ويكون تماماً للاحسان إليهم، وهذا واجب في عدل الله وحكمته وجوده وكرمه ورحمته وهو من تمام التكليف ومن صفات المالك الرحيم اللطيف، وكيف يريد سبحانه منا مثل مراده من صحابة نبيه ويجعل لهم كتاباً ونبياً حافظاً للكتاب والشريعة ومبيناً لهما ويقتصر بنا على الكتاب وحده ... فيقتضي العدل والانصاف أن يكون لنا مع الكتاب المجيد خليفة للنبي يقوم مقامه ويحفظ كتابه وشريعته

(1) قارن قول الحلي هذا واستدلّاه على وجوب وجود معصوم مع استدلال القادياني على وجوب استمرار النبوة حيث قال: [ان القول بختم النبوة واغلاق بابها يستلزم انقطاع الفيوضات وفيه شؤم ونحس وقسط من منصب النبي وقرّنه، وكذلك تكذيب قوله الله {كنتم خير امة} لان اغلاق النبوة لا يتلائم وخير الامة بل الامة بعد انقطاع النبوة تصبح شرامة، وكذلك تنخفض درجة النبي ﷺ من درجة موسى ﷺ لان الله بعث مئات الأنبياء بعد موسى، فكأن الله يكره امة النبي ﷺ ولا يتكلم معهم لان المحبة تستلزم المكاملة والمخاطبة. [ميرزا غلام احمد (رسالة ختم النبوة) ص 6] عندها ستعرف الشبه الكبير في الاستدلال وانهما دعوتان تتبتان من اصل واحد تخرجان من مشكاة واحدة .

وإحكامه... [وكلامه متضمن للمعنى والعلة التي ذكرناها وهي كيف يخص جيل الصحابة بالرحمة واللفظ والنبوة ويحرم باقي المكلفين منها مع حاجة الجميع إليها.

3- قال محسن الخرازي في كتابه (بداية المعارف الإلهية) (1/233): [في عمومية مقتضى البرهان: إذ برهان اللطف سواء كان بمعناه الفلسفي أو الكلامي، يقتضي لزوم إتمام الحجة على الناس وإرشادهم وتركيتهم في جميع الأدوار والأمكنة، ولذا نعم بأن ذلك لا يختص بمناطق الحجاز والشامات والعراق وإيران ونظائرها، إذ التكليف أو الغرض وهو نيل الإنسان إلى كماله اللائق به والسعادة في الدارين، لا يختص بقوم دون قوم بل كلّ مكلفون ومنذرون].

وبهذا يتبين أن العلة التي أوجبنا لأجلها استمرار النبوة وهي عدم تخصيص بعض الناس باللطف والرحمة في زمان وحرمان الآخرين في باقي الأزمنة منها مع حاجة الجميع إليها قد أثبتها علماءكم وبنّوا عليها استدلالهم بوجود معصوم في كل زمان فإن كانت هذه العلة صحيحة ومعتبرة عندك فهي دليلنا على وجوب استمرار النبوة، ولن تستطيع ردها لأن علماءكم اعتمدها في استدلالهم، وإن كانت باطلة فدالاتها على بطلان قولك في الإمامة أولى من دالاتها على بطلان قولي في النبوة، وبهذا تبين لجميع العقلاء أنك لن تستطيع رد الدليل الاوّل العقلي لأن في رده نقض لقولك بوجود وجود إمام معصوم⁽¹⁾، والآن انتقل معك إلى الدليل الثاني على قولي باستمرار النبوة إلى قيام الساعة.

الدليل الثاني

القادياني:

لقد اعترف علماءك ايها الامامي بأن العقل والحكمة توجبان وجود نبي في كل عصر، منهم ابن بابويه القمي والمفيد والطوسي والحلي، ولكن معارضة الشرع لهذا

(1) كما ذكرت سابقاً بأن موقف الإمامي ضعيف جداً أمام القادياني لأنه إما أن يُسَلِّم له بصحة دعوته أو يعترف ببطلان الأدلة التي اعتمدها القادياني وهذا يتضمن الاعتراف ببطلان أدلته هو على الإمامة ليقدم خدمة كبيرة لأهل السنة في مجال الحوار العقائدي حول الإمامة.

الدليل العقلي منعتهم من القول به، وهذا اعتراف صريح منه بأن العقل يحكم بوجود وجود نبي في كل زمان.

الشيعة:

أين أثبتوا هذا الوجوب العقلي؟

القادياني:

في مواضع متعددة وبألفاظ صريحة إليك بيانها:

1- ذكر ابن بابويه في (إكمال الدين واتمام النعمة) أقوال عديدة منها:-

أ- قال ص4: [ومن زعم ان الدنيا تخلو ساعة من إمام لزمه ان يصحح مذهب البراهمة في ابطالهم الرسالة، ولولا ان القرآن نزل بأن محمداً ﷺ خاتم الانبياء لوجب كون رسول في كل وقت، فلما صح ذلك ارتفع معنى الرسول بعده].

ب- قال ص664: [ثم انه عز وجل قطع بعد نبينا ﷺ الرسل وجعل لنا هداة من أهل بيته....ولولا ذلك ما كانت الحكمة توجب إلا بعثة الرسل (ع) الى انقطاع التكليف عنا].

ج- قال ص660: [وبعد فلولا الكتاب المنزل وما خبرنا الله تعالى على لسان نبينا المرسل ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة من النقل عنه ﷺ في الخبر الموافق للكتاب انه لا نبي بعده لكان الواجب اللازم في الحكمة انه لا يجوز ان تخلو العباد من رسول منذر ما دام التكليف لازماً لهم وان تكون الرسل متواترة إليهم....فعل العباد مع التكليف لا تتزاح إلا برسول منذر مبعوث إليهم يقيم اودهم ويخبرهم بمصالح أمورهم ديناً ودنيا وينصف مظلومهم من ظالمهم ويأخذ حق ضعيفهم من قويهم، وحجة لا تلزمهم إلا بذلك، فلما اخبر الله تعالى انه قد ختم رسله وأنبياءه بمحمد ﷺ سلمنا لذلك وايقنا انه لا رسول بعده، لابد لنا ممن يقوم مقامه وتلزمنا حجة الله تعالى به وتتنزح علتنا].

د- ان ابن بابويه الملقب بالصدوق في معرض رده على المعتزلة ونقض قولهم وشبهتهم، تحاكم معهم الى العقل الذي يعتمد المعتزلة ويقدموه على النقل، فنذكر لهم ما نحن بصده، وهو لماذا لم يبعث الله تعالى نبياً في كل مكان وزمان الى قيام الساعة؟! فان العقل يستحقه ويحكم بوجوده لحاجة الخلق إليه، ليلقم المعتزلة حجراً، فقال ص63 بنفس الكتاب: [ونقلب هذا الكلام

على المعتزلة فيقال لهم لِمَ لَمْ يبعث الله عز وجل بأضعاف من بعث من الأنبياء؟! ولِمَ يبعث الله عز وجل في كل قرية نبياً وفي كل عصر ودهر نبياً أو انبياء إلى ان تقوم الساعة...؟!]. وكأن لسان حاله يقول للمعتزلة يا من جعلتم العقل حاكماً ومرجعاً عند النزاع، وتوجبوا على الله تعالى ان يفعل ما يحكم به العقل ويستحسنه، فما هو العقل يحكم بوجود بعثة الانبياء في كل مكان وزمان الى قيام الساعة، فلماذا لم يفعله الله تعالى؟! وفي كلامه هذا اثبات ما نحن بصدده، وهو ان العقل يحكم بوجود وجود نبي في كل زمان الى قيام الساعة، وقد أثبتته صراحة في كلامه هذا.

هـ- يؤكد الصدوق أيضاً اعتبار حكم العقل وان الله تعالى لا يأتي إلا بما يوافق ما تقرره العقول ويضرب لهذا مقال، وهو ان العقل يحكم بالحاجة إلى بعثة الأنبياء، ولو علم الله تعالى ان العقل يحكم بعدم الحاجة إلى الأنبياء لم يبعثهم ليطباق فعله تعالى بذلك ما تقرره العقول، فيقول في (اكمال الدين) ص4: [وذلك لان الله تعالى تقدره لا يدعو الى سبب إلا بعد ان يصور في العقل حقائقه، واذا لم يصور ذلك لم تتسق الدعوة ولم تثبت الحجة، وذلك ان الأشياء تألف اشكالها وتنبوا عن اضدادها، فلو كان في العقل إنكار الرسل لما بعث الله عز وجل نبياً قط، مثال ذلك الطبيب يعالج المريض بما يوافق طباعه ولو عالجه بدواء يخالف طباعه أدى ذلك إلى تلفه، فثبت ان الله احكم الحاكمين لا يدعو إلى سبب إلا وله في العقول صورة ثابتة]. وحاصل كلامه ان العقول تحكم بوجود بعثة الأنبياء والحاجة إليها، وهذا يثبت قولنا ويؤكد.

2- ان الشيخ المفيد قد أيّد ما ذكرناه بأن العقل لا يمنع من بعثة الأنبياء بعد نبينا ﷺ بل الذي يمنع من ذلك هو الشرع، فقال في (اوائل المقالات) باب (القول في الإحياء إلى الائمة وظهور الأعلام عليهم والمعجزات) ص80-81: [والاتفاق على انه من يزعم ان احداً بعد نبينا ﷺ يوحى اليه فقد اخطأ وكفر ولحصول العلم بذلك من دين النبي ﷺ، كما ان العقل لم يمنع من بعثة نبي بعد نبينا ﷺ ونسخ شرعه منا نسخ ما قبله من شرائع الأنبياء وإنما منع ذلك الإجماع والعلم بأنه خلاف دين الرسول ﷺ من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار والامامية جميعاً على ما ذكرت ليس بينها فيه على ما وصفت خلاف]. وهذا اعتراف منه أن العقل لا يمنع من بعثة الأنبياء بعد النبي ﷺ، وهذا يؤيد ما أثبتناه من حكم العقل باستمرار النبوة.

3- صرح علامتهم وفيلسوفهم النصير الطوسي في كتابه تجريد الاعتقاد بأن البعثة واجبة في كل وقت فقال: [المسألة السادسة: في وجوب البعثة في كل وقت قال: ودليل الوجوب يعطي العمومية] وهذا تأييد ما بعده تأييد لقولي بوجوب النبوة في كل وقت من علامتكم ثم جاء بعده علامتكم الحلي ليشرح لنا كلام الطوسي بتعثر وغموض ليخرج منه مؤيداً قوله ليمدنا بسلاح قوي لا يمكنك الانفكاك عنه فقال: [وقال علماء الإمامية: إنه تجب البعثة في كل وقت .. واستدل المصنف رحمه الله على وجوب البعثة في كل وقت بأن دليل الوجوب يعطي العمومية، أي دليل وجوب البعثة يعطي عمومية الوجوب في كل وقت، لأن في بعثته زجراً عن القبائح وحثاً على الطاعة فتكون لطفاً .. فتكون واجبة في كل وقت (1)].

فإذا ثبت باعتراف علمائك أن الدليل العقلي يحكم بوجوب وجود نبي في كل عصر، فأنا ألزمك بهذا الدليل العقلي الذي جعلته معتبراً عندك بل ومرجعاً عند الاختلاف حيث قدمته على النقل وأولت النقل ليوافقه إن كان له تأويل سائغ وأما إن لم يكن لهذا النقل تأويل سائغ طرحته ليبقى الدليل العقلي هو المعتبر وفيه الحجة (2).

الشيعة:

أنا لا ألتزم بهذا الدليل العقلي بل أمنعه بالشرع - كما منعه علماءنا - الذين صرحوا بختم النبوة بنبينا محمد ﷺ وعدم استمرارها في قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(الأحزاب: 40)

القادياني:

ما دمت قد وافقتني على أن العقل يحكم بوجوب استمرار النبوة، فلا تهمني معارضة هذا النص له، لأن النص يمكن تأويله كما قررتم أنتم في أصولكم بأنه إذا تعارض العقل مع النقل يقدم العقل ويؤول النقل (3).

(1) ينظر (كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد) ص 381 لابن المطهر الحلي.

(2) كما تبين لنا في الأصلين الأول والثاني من الفصل السابق

(3) انظر الأصل الثاني في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

الشيعة:

وما هو تأويلك لقوله تعالى {...وخاتم النبيين}.

القادياني:

بالطبع ليس المراد ما تفهمه أنت وغيرك من هذه الآية، بل المقصود بـ(خاتم النبيين) أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء أي طابعهم، فكل نبي يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه (1) ﷺ .

ولا يمكنك أيها الإمامي أن ترد تأويلي أو تمنعني عنه، وذلك لأنك قد أولت أخطاء الأنبياء في القرآن، فليس تأويلك لهذه الأخطاء في القرآن مع صراحتها لتوافق ما قرره عقلك أولى وأصح من تأويلي لهذا النص ليتوافق مع ما قرره عقلي (من وجوب استمرار النبوة) مع العلم أنني أولت آية واحدة، وأنت أولت آيات كثيرة من القرآن كانت أكثر صراحة⁽²⁾ مما أولته أنا، فثبت قلبي إذ لا يمكن التفريق بين التأويلين إلا بمحض الهوى والتحكم الذي يتنزه عنه العقلاء والمنصفون .

الدليل الثالث**القادياني:**

قبل ذكر نص الدليل لا بد من بيان قضية مهمة جداً سبقت الإشارة إليها وهي أن الاتفاق حاصل بيننا وبينكم على الحاجة إلى مرشد إلهي بعد النبي وأن وجوده

(1) انظر المسألة القاديانية للمودودي ص4-5.

(2) وذلك لأن الآيات قد صرحت بأخطاء الأنبياء وطلبهم المغفرة من الله تعالى على تلك الذنوب وان الله قد غفر لهم وعفا عنهم وتجاوز عنهم، ومن تتبعها وجدها تقرب عشرين آية أو تزيد، فالقادياني لم يؤول سوى آية واحدة فقط، في حين كان تأويل الشيعة لأكثر من عشرين آية، ولمزيد من الاطلاع على تأويل الشيعة لتلك الآيات ينظر كتاب (تنزيه الأنبياء والائمة) للسيد المرتضى.

واجب على الله تعالى لهداية الخلق، وعدمه يتنافى مع عدل الله تعالى ورحمته، أي أن هناك تطابقاً تاماً بين النظريتين دون أدنى فرق بينهما⁽¹⁾.

وخير مثال يظهر به هذا التوافق والتطابق على وجود المرشد الإلهي هو أن آيتكم العظمى مكارم الشيرازي ساق العديد من الأدلة التي أثبتت من خلالها الحاجة إلى ممثل إلهي مستخدماً هذا التعبير "ممثل إلهي" ليشمل كلاً من النبي والإمام، بمعنى أن الأدلة تصلح لإثبات الحاجة إلى نبي وإلى إمام فقال: [ولسوف نثبت في بحوثنا التالية وجوب أن يكون في كل عصر وزمان **ممثل إلهي نبي أو إمام معصوم**]⁽²⁾، فانظر كيف رفع الخلاف بيننا وأزاله بلفظة ذكية شاملة لقولنا وقولكم على السواء سعياً منه للوحدة والاتفاق ونبدأ للفرقة والخلاف، فعبر بالممثل الإلهي ليبقيه عاماً ويبقى الباب مفتوحاً يستخدمه كل من يدعي الحاجة إلى النبوة والحاجة إلى الإمامة. ومعنى هذا أن كل دليل ساقه علماءك لدعم نظريتهم يصلح لإثبات قلبي في النبوة، وهذه الحقيقة العلمية هي منطلقي في هذا الدليل لإثبات صحة قلبي بالحاجة إلى المرشد الإلهي - نبي أو شبيه النبي - من خلال نصوص علمائك التي صرحوا بها بوجوب وجود هذا المرشد الإلهي وإن عدمه يتنافى مع عدل الله تعالى ورحمته، فممن قال بذلك:

1- قال محمد تقي مصباح اليزدي ص331: [إن ختم النبوة إنما يكون موافقاً للحكمة الإلهية فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، الإمام الذي يمتلك

(1) ما عدا الفرق في تسمية هذا المرشد هل هو نبي أو إمام، وهذا سيتلاشى عندما يتعرض القادياني لهذا الاختلاف بينهم، ليثبت أن حقيقة هذا المرشد متفق عليها حتى من حيث صفاته وماهيته وليبقى

الخلاف لفظياً فقط مع الاتفاق حتى على صفاته فترقب الحوار حول هذه النقطة فإنه ممتع.

(2) دروس في العقائد الإسلامية لمكارم الشيرازي ص188، وممن استخدم لفظاً عاماً ينطبق على النبي والإمام علامتهم إبراهيم الأميني في كتابه (دراسة عامة في الإمامة) فقال ص93: [تسحب البراهين والأدلة العقلية التي تثبت وجوب النبوة على الله عزوجل على الإمامة في غياب الأنبياء والرسول، فلا بد من وجود **فرد معصوم** اختاره الله واصطفاه لعباده لإقامة الدين وتطبيق الشريعة في حياة الناس، ومن هنا فإن بحث مسألة النبوة العامة أمر ضروري للتمهيد من أجل بحث الإمامة في ضوء العقل]، فعبر بلفظ "فرد معصوم" ليصح إطلاقه على النبي والإمام حتى يحقق التوافق والوحدة بينهما.

خصائص نبي الإسلام ص كلها عدا النبوة والرسالة، وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام⁽¹⁾ وقال بنفس الكتاب ص333: [وضحنا في الدرس السابق أن ختم النبوة بدون نصب الإمام المعصوم وتعيينه مخالف للحكمة الإلهية، وأن إكمال الدين الإسلامي العالمي والخالد مرتبط بتعيين الخلفاء الصالحين بعد النبي ﷺ بحيث يكونون متوفرين على كل مناصب النبي الإلهية سوى النبوة والرسالة]، فقد أثبت بأن حرمان الناس من مرشد إلهي بعد النبي ﷺ يتنافى مع عدل الله تعالى وهذا قولنا بعينه.

2- قال مكارم الشيرازي ص134: [فهل الله الذي لا يغفل عن حاجات الإنسان الدقيقة هذه يمكن أن يحرم الإنسان من هاد وقائد موثوق به ومعصوم من الخطأ ويأتمر بأوامر الله ووحيه]⁽²⁾، وقال في نفس الكتاب ص189 (التكامل المعنوي إلى جانب وجود القادة الإلهيين): [قبل كل شيء نتوجه إلى الهدف من خلق الإنسان، فهو أساس عالم الخليقة: إن الإنسان يطوي طريقاً طويلاً كثيراً المنعطفات والعثرات في سيره نحو الله، نحو الكمال المطلق، نحو التكامل المعنوي بجميع أبعاده، من البديهي أنه لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم، ولا أن يطويه بغير معلم سماوي، لأنه طريق محفوف بالظلمات وبمخاطر الضلال وهذا ما يطلق عليه في كتب العقائد اسم "قاعدة اللطف" ويقصدون بها أن الله الحكيم يمد الإنسان بجميع الأمور اللازمة لكي يصل إلى هدف الخلق، ومن ذلك بعث الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين، وإلا فإن ذلك يؤدي إلى نقض الغرض فتأمل!]، فقد صرح بأن عدم المرشد الإلهي - عبر عنه بالأنبياء والأئمة - يتنافى مع حكمة الله تعالى في هداية الخلق.

3- قال السيد مجتبی اللاري: [إن الأمة في حركتها إلى الكمال تحتاج إلى زعيم ما، وهي حاجة فطرية طبيعية ... أفهل بالإمكان أن نقول بأن الله الذي لم يترك أي شيء من مستلزمات التكامل المادي والجسدي للبشر دون أن يهبه إياه، قد حرمه من أن يوفر له العامل المهم الذي له الدور الأساسي في رقيه الروحي،

(1) دروس في العقيدة الإسلامية لمحمد تقي مصباح اليزدي ص134.

(2) دروس في العقائد الإسلامية ص134.

وانه بخل ان وجود عليه⁽¹⁾، فاعترف بأن حرمان الناس من المرشد الإلهي معناه بخل الله تعالى وهو باطل.

4- قال فيلسوفهم الشيرازي في كتابه (الحجة) ص153 تحت عنوان (ترك البشر دون إمام يلزم النقص من الله): [لما ثبت أن نظام الدين والدنيا لا يصلح إلا بوجود إمام يقتدي به الناس ويأتمون به ويتعلمون منه سبيل هداهم وتقواهم، وان حاجتهم إليه في كل زمان أعظم وأهم من حاجتهم إلى الغذاء والكسوة، وما يجري مجراها من المنافع والضرورات، فوجب من العناية الربانية أن لا يترك الأرض ولا يدع الخلق من غير إمام، وإلا لزم أحد الأمور الثلاثة: إما الجهل وعدم العلم، أو النقص وعدم القدرة على خلقه، أو البخل والفضة بوجوده، وجميع هذه الوجوه محالة على الله فهو أجل وأعظم من أن تعتريه أحد هذه الأمور]، فأثبت أن عدم هذا المرشد محال على الله تعالى لأنه يتضمن الطعن به سبحانه .

5- قال الشيخ محمد حسن آل ياسين: [لأن وجود النبوة دون الإمامة وجود منقطع الآخر، وذلك يناقض جوهر الإسلام القائم على استمرار الرسالة إلى يوم القيامة، فالنبوة بداية الحياة والإمامة استمرار لتلك الحياة]⁽²⁾، وقال ص23: [ولو جاز لنا أن نقول بالنبوة دون الإمامة لجاز لنا أن نقول بأن الرسالة محدودة النظر لم تُقدّر لنفسها عمراً بعد حياة رسولها، ولم تحتط لأهدافها بوصي يستمر في العمل والإمداد.... إن الإمامة في واقعها إتمام لمعنى النبوة، ولا يستقيم وجود النبي العملي بدونها].

6- لقد أثبتتم لهذا المرشد الذي أوجبتم وجوده في كل زمان إلى قيام الساعة معرفة أخبار السماء صباحاً مساءً، ومعلوم أن تلك المعرفة- على فرض احتمال تحققها- تكون إما عن طريق وحي ظاهر وهو الملك- وهو ما اختص به الأنبياء والرسل- أو باطن وهو الإلقاء في القلب، ورغم أن مقتضى نفيكم لاستمرار النبوة يلزمكم بإثبات الطريق الثاني في تحقق المعرفة إلا أنكم- ويا

(1) أصول عقائد الإسلام للسيد مجتبي اللاري .

(2) كتاب (الإمامة) ص22 للشيخ محمد حسن آل ياسين.

للعجب - أثبتتم له الوحي الظاهر وهو تكليم الملك للإمام (1)، وهذا هو عين معنى الوحي الذي ينزل على الأنبياء، بل أنكم لم تثبتوا هذا فحسب وإنما جعلتم منع الله تعالى لهذا الوحي منافٍ لرحمته ولطفه بعباده، فمن رواياتكم التي أثبتتم بها هذا المعنى ما يلي:

أ- ذكر الكليني في (الكافي) ج 1 ص 261 الحديث (3): [عن جماعة بن سعد الخثعمي انه قال: كان المفضل عند ابي عبد الله (ع) فقال له المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا، الله اكرم وارحم وارأف بعباده من ان يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً].

ب- ذكر أيضاً ص 262 الحديث (6): [عن ابي حمزة قال: سمعت ابا جعفر (ع) يقول: لا والله لا يكون عالم (العالم الذي افترض الله طاعته) جاهل ابداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: الله اجل واعز وأكرم ان يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه].

ولكون انقطاع الوحي ينافي رحمة الله ولطفه بعباده قلنا بوجود استمرار وجود النبي الذي هو الوجهة الأرضية لهذا الوحي السماوي بانفاق جميع أهل الأديان والمذاهب بلا استثناء، وعليه تكون جميع هذه النصوص والمقدمات العقلية التي وضعتموها لتثبتوا بها وجوب وجود إمام معصوم دعامةً لي أستدل بها عليك بوجود استمرار النبوة، بل انكم ساعدتمونا مساعدة كبيرة على دعوتنا من خلال الاعتماد على أدلتكم، فنحن إذًا مشتركون معكم بالادلة وأن دعوتينا متطابقتان من حيث المضمون حتى أنهما تكادان أن تكونا دعوة واحدة، فدعوا الخصام والجدال وهلموا معنا ووافقونا على قولنا، بتغيير نتيجة مقدماتكم من وجوب وجود إمام معصوم، إلى

(1) فقد روى الكليني عدة روايات تثبت تكليم الملك للإمام سننطرق إليها بتفصيل منها عن حمران بن أعين قال : قال أبو جعفر عليه السلام إن عليا عليه السلام كان محدثا ، فخرجت إلى أصحابي فقلت : جئتمكم بعجبية ، فقالوا : وما هي ؟ فقلت : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول، كان علي عليه السلام محدثا فقالوا : ما صنعت شيئا ألا سألته من كان يحدثه ، فرجعت إليه فقلت : إنني حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا : ما صنعت شيئا ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لي: يحدثه ملك...الكافي(270/1) .

وجوب وجود نبي- وهو الأقرب إلى المنطق والعقل ومقتضى الأدلة- ومرحباً بالوافق والاتفاق، ولنستريح من الردود والجدال والخصام فيما بيننا.

الفصل السادس

محاولة التفريق بين النبي والإمام ودحضها

الفصل السادس

الشيعة:

صحيح أننا متفقون على المقدمات والأدلة العقلية كما تبين من خلال سوقك لها، إلا أن هذا لا ينفي كون الخلاف بيننا جوهري وأساسي، حيث أننا أثبتنا من خلال تلك المقدمات وجوب وجود إمام معصوم ولم نثبت بها وجوب وجود نبي، والفرق بين الإمام والنبي كالفرق بين السماء والأرض، فالفرق بين دعوتنا ودعوتكم كالفرق بين الإيمان والكفر.

القادياني:

جوابي على تفريقك من وجهين هما:

الوجه الأول:

لن أفيد هنا في هذا الوجه ادعاءك هذا حول وجود فرق بين النبي والإمام، بل أنني لو سلمت جدلاً⁽¹⁾ بصحة قولك بأن هناك خلافاً حقيقياً وجوهرياً بين نبينا وإمامكم فهذا قد ينفك في تبرئة الشيعة من القول باستمرار النبوة⁽²⁾ الذي نعتقده، إلا أنه لا ينفك بتاتاً في موضوع مناظرتنا والذي ينصب حول إثبات أن كلتا دعوتينا تشعان من مشكاة واحدة وتنهلان من عين واحدة مما يعكس عجزك عن إبطال أدلتي الثلاثة التي سقتها لك والتي اعتمدت فيها على تقرير علمائك واستدلالهم العقلي، وعليه يكون لجوئك إلى هذا التفريق المزعوم وإدارة الحوار نحو

(1) وهذا تسليم جدلي لمجارة الإمامي في الحوار وإلا فالحق هو بعدم وجود فرق حقيقي بين نبي

القاديانية وإمام الشيعة كما سيتبين بعد قليل من سير الحوار.

(2) وهذا ينجبكم من اعتقاد الكفر والخروج من دائرة الإسلام الذي يوصم به كل من يعتقد بنبوة شخص بعد النبي ﷺ ولكن هذا لا علاقة له بموضوع دراستنا لا من قريب ولا من بعيد إذ موضوعها هو عجز الشيعة عن مواجهة أدلة القادياني ونقضها ومن ثم تكون الغلبة للقادياني عليه إذا ما جمعهم حوار ومناظرة علمية.

هذه الوجهة تهرباً صريحاً من المواجهة ومقابلة الدليل بالدليل، وتغطية فضفاضة لعجزك عن الجواب، وهذا بحد ذاته نصر كبير لي عليك أيها الشيعي بإظهارك العجز والانقطاع عن مواجهة أدلتي ونقضها (1).

الوجه الثاني:

في هذا الوجه سأجاوز التسليم الجدلي الذي سقته في الوجه الأول من هذا الجواب لأنقض أصل ادعائك، فأقول: أن دعواك بوجود فرق حقيقي بين النبي والإمام باطلة ليس لها أدنى رصيد من الواقع، لأن جميع أخباركم ومروياتكم تثبت إثباتاً قاطعاً أن لا خلاف بين إمامكم والنبي من حيث الصفات والمزايا، بل والصلاحيات أيضاً، وإليك هذه العجالة ببعض صفات الإمام عندكم مما يجعله في مصاف الأنبياء بل فوقهم في الرتبة، وقد اخترتها من أصح الكتب عندكم ألا وهو الكافي للكليني فمن هذه الصفات ما يلي:

أولها: أن الإمام يعلم الغيب ويعلم ما كان وما يكون وأن علمه بها يفوق

علم بعض الأنبياء لها

1- ذكر ص 260-261 الحديث (1): [عن سيف التمار قال: كنا مع ابي عبد اله (ع) جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فلتفتنا يمنا ويسرة فلم نر احداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما اني اعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في ايدهما، لان موسى والخضر (ع) اعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثته]. وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ان العلم الذي عند الأئمة يفوق العلم الذي عند الانبياء السابقين، فهل بعد هذا يأتينا من يقول أن هناك فرقاً

(1) وهذا يوضح ويؤكد بأن الامامي لا يستطيع ان يمنع القادياني من دعوته ولا يستطيع ان ينقضها برد ادلته لانها نفس ادلة الامامي على اهل السنة، فاذا ردها لبيطل قول القادياني، يكون بذلك قد نقض ادلته التي يحتج بها على اهل السنة، فليختر الامامي بين ان يوافق القادياني أو أن يوافق اهل السنة، ونصيحتي له هي ان يترك هذه النظرية من الأساس (أي نظرية الامام المعصوم) لأنها جلبت الشر على عقيدة ختم النبوة، وان يعود لأخذ العقيدة الصافية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بعيداً عن الأوهام والافتراضات التي وضعتها عقول حائرة مضطربة (الله اعلم بنيات اصحابها) جلبت الشر على هذا الاصل العظيم من دين الاسلام وهو ختم النبوة بنبينا ﷺ.

بين الأئمة والأنبياء...!!؟.. اللهم إلا في تفوق الأئمة وعلو كعبهم على الأنبياء بالعلم!!!

2- ذكر ص 261 الحديث (2): [عدة من اصحابنا منهم عبد الاعلى وابو عبيدة وعبد الله ابن بش الخثعمي سمعوا ابا عبد الله (ع) يقول: اني لأعلم ما في السموات وما في الارض واعلم ما في الجنة واعلم ما في النار، واعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأى ان ذلك كبر على من سمعه منه، فقال، علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، ان الله عز وجل يقول: فيه تبيان كل شيء].

3- ذكر ص 285 الحديث (7): [يا ابا محمد (الكاظم يخاطب ابا بصير) ان الامام لا يخفى عليه كلام احد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بامام].

4- ذكر ص 258 الحديث (1): [عن ابي بصير قال: قال ابو عبد الله (ع): أي امام لا يعلم ما يصيبه والى ما يصير، فليس ذلك بحجة لله على خلقه].

5- ذكر ص 258 الحديث (3): [عن ابي عبد الله (ع) قال: اذا اراد الامام ان يعلم شيئاً اعلمه الله ذلك].

6- ذكر ص 20: [ثم سكت ساعة ثم قال (أي ابو عبد الله (ع)): ان عندنا علم ما كان وما هو كائن الى ان تقوم الساعة، قال جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: انه العلم وليس بذاك قال: قلت جعلت فداك فأى شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار الامر بعد الامر والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة].

7- ذكر ص 261 الحديث (3): [عن جماعة بن سعد الخثعمي انه قال: كان المفضل عند ابي عبد الله (ع) فقال له المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا الله اكرم وارحم وارأف بعباده من ان يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر

السماء صباحاً ومساءً].

8- ذكر ص 262 الحديث (6) [عن ابي حمزة قال: سمعت ابا جعفر (ع) يقول: لا والله لا يكون عالم (أي العالم الذي افترض الله طاعته) جاهل ابداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: الله اجل واعز واكرم من ان يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وارضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه].

ثانياً: أن الإمام معصوم من الذنوب عمداً وسهواً

1- ذكر ص 202-203 الحديث (19): [عن الرضا (ع) قال: ... وان العبد اذا اختاره الله عز وجل لأمر عباده شرح صدره لذلك وودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاماً، فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعتار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده].

2- ذكر ص 204: [عن ابي عبد الله (ع) قال:معصوماً من الزلات مصوناً عن الفواحش كلها].

3- ذكر ص 200 الحديث (1): [عن الرضا (ع) قال:الامام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم].

4- قال محمد رضا المظفر في (عقائد الامامية) ص 104: [ونعتقد ان الامام كالنبي يجب ان يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة الى الموت عمداً وسهواً، كما يجب ان يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لان الائمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي والدليل الذي اقتضانا ان نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا ان نعتقد بعصمة الائمة فلا فرق].

ثالثاً: أن الله تعالى فرض طاعته على العباد

1- ذكر ص 186 الحديث (2): [عن ابي الصباح قال: اشهد اني سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: اشهد ان علياً امام فرض الله طاعته وان الحسن امام فرض الله طاعته وان الحسين امام فرض الله طاعته وان علي بن الحسين

- امام فرض الله طاعته وان محمداً بن علي امام فرض الله طاعته].
- 2- ذكر ص 186 الحديث (5): [عن ابي الحسن العطار قال: سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: أُشْرِكُ بين الاوصياء والرسول في الطاعة].
- 3- ذكر ص 187 الحديث (11): [عن ابي سلمة عن ابي عبد الله (ع) قال: سمعته يقول: نحن الذين فرض الله طاعتنا الا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يُعذر الناس بجهالتنا].

رابعاً: عارفه مؤمن ومنكره كافر

- 1- ذكر ص 180 الحديث (1): [عن ابي حمزة قال: قال لي ابو جعفر (ع): انما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فانما يعبد هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ﷺ وموالاته علي (ع) والائتمام به وائمة الهدى (ع) والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عز وجل].
- 2- ذكر ص 181 الحديث (5): [عن ذريح قال: سألت ابا عبد الله (ع) عن الائمة بعد النبي ﷺ فقال: كان امير المؤمنين (ع) اماماً ثم كان الحسن (ع) اماماً ثم كان الحسين (ع) اماماً ثم كان علي بن الحسين اماماً، ثم كان محمد بن علي اماماً، من انكر ذلك كان كمن انكر معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ﷺ].
- 3- ذكر ص 187 الحديث (11): [عن ابي سلمة عن ابي عبد الله (ع) قال: سمعته يقول: نحن الذين فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمناً، ومن انكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان منالاً حتى يرجع الى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فان يمت على ضلالتة يفعل الله به ما يشاء].
- 4- ذكر ص 203 الحديث (2): [قال ابو عبد الله (ع) عن الامام: ولا يقبل الله اعمال العباد إلا بمعرفته].
- 5- ذكر ص 184 الحديث (9): [ان امير المؤمنين (ع) قال: ونحن الاعراف

يعرّفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا
وعرفناه ولا يدخل النار إلا من انكرنا وانكرناه].

6- ذكر ص 184 الحديث (8): [عن ابي جعفر (ع) قال:.... وكذلك والله يا
ابا محمد من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله عز وجل ظاهر عادل
اصبح ضالاً تائهاً وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق].

فهذه أهم صفات الإمام التي تجعل الفرق بين النبي والإمام لفظياً، إذ لو أردنا أن
نعرّف النبي ونذكر أوصافه لما جئنا بأكثر من هذه الصفات لتبطل بذلك دعواك
بالفرق بين النبي والإمام، فإن كنت تملك دليلاً مقنعاً يثبت الفرق فأنت به أمام
جميع المسلمين ﴿ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (الأنبياء: 61) .

الشيعة:

هناك فرق جوهرى بين النبي والإمام وهو أن النبي ينزل عليه الوحي من الله
تعالى وهذا الفرق الجوهرى قد تجاهلته تماماً لتلبس على المسلمين بعدم الفرق بين
دعوتينا، وها هو علم الهدى السيد المرتضى يذكر كلمة الفصل بالفرق الجوهرى بين
النبي والإمام فقال: [والنبي لم يكن عندنا نبياً لاختصاصه بالصفات التي يشرك فيها
الإمام⁽¹⁾ بل لاختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة ، أو بواسطة هو الملك
، وهذه مزية بينة⁽²⁾] ، وبوجود هذا الفرق الجوهرى ألا وهو الوحي بواسطة الملك
تبطل دعواك.

القادياني:

إليك الجواب عما أوردته وقد قسمته إلى قسمين:

(1) ويقصد بالصفات المشتركة عندهم بين النبي والإمام هي العصمة والأفضلية وغيرها.

(2) الشافى في الامامة للشريف المرتضى ج 1 ص 39 .

القسم الأول

قد يتصور القارئ أنك حسمت الحوار لصالحك بإيرادك لهذا الفرق بين النبي والإمام، إلا أن الأمر بخلافه تماماً، إذ حتى هذا الأمر - وهو الوحي وتكليم الملك - ثابت عندكم للإمام صراحةً أو ضمناً.

ولكن قبل أن نثبت ذلك من مصادر مذهبك ومروياته، لا بد من تنبيه القارئ إلى نقطة غاية في الأهمية بل هي أهم نقاط الحوار على الإطلاق وهي أن سعي الشيعة وأنت منهم واستماتتكم لإيجاد فرق بين النبي والإمام - مما قد يوِّلد عند المسلمين تعاطفاً وتجاوباً معكم - ليس مردّه حرصكم على أصل النبوة وصيانتها من أن يُصاب بخدش في قدسيته، كما قد يتوهم الجميع بحكم أن هذا هو ما ينصرف إليه ذهن المسلم على حد سواء بحكم البداهة وثوابت الشرع والتعقل التي تحسم الخيرية للأنبياء وتوجب فضلهم على باقي البشر.. بل المراد به أمر آخر سيأسف له ويندهش به جميع المسلمين .. وحتى أعود بالموضوع إلى سياق الحوار وطابعه المناظراتي، أتوجه إليك ومن خلالك إلى جميع الشيعة بالسؤال التالي:

هل هذه المحاولة للتفريق بين النبي والإمام التي أوردها الشيعة هي لتنزیه مرتبة النبوة من أن يصلها ويرتقي إليها إمام الشيعة المعصوم، بمعنى أن غرضكم منها هو حماية مرتبة النبوة وشرفها وقدسيته من أن تعطى للإمام المعصوم؟

ربما قد يجيب العقل عندكم ابتداءً بـ "نعم" لقد أوردوا هذه المحاولة للتفريق بين النبي والإمام من أجل تنزیه مرتبة النبوة، ولكن جوابكم لن يكون كذلك .. بل سيكون الجواب هو أن إيرادنا لهذا الفرق أردنا به إثبات العكس من ذلك تماماً؟! فبعد تأمل مروياتكم ونصوص علمائكم حول مرتبة الإمام وفضله، سنجد أنكم أوردتم هذا الفرق لأجل صيانة مرتبة الإمام وشرفها من أن تهبط من رفعتها وشموخها

وشرفها وتنحدر إلى مرتبة النبوة وهذه الحقيقة يقف عليها من اطلع على معتقدكم في الإمامة.

وقبل أن تتهمني بافتراء هذا الأمر عليكم وتطالبني بدليل على ما أقوله أقدم لك هذه الحقيقة من مروياتكم ونصوص علمائكم وكما يلي:

أولاً: تصريحكم بأن مرتبة الإمامة أعلى وأسمى من مرتبة النبوة

وهذه قد صرح بها علماءك بكل جرأة وتناول فممن قال بذلك:

1- يقول آيتهم العظمى ناصر مكارم الشيرازي عند تفسيره للآية (124) من سورة البقرة في تفسيره (الامثل): [يتبين من الآية الكريمة ان منزلة الامامة الممنوحة لابراهيم بعد كل هذه الاختبارات تفوق منزلة النبوة والرسالة..... فمنزلة الامامة أسمى مما ذكر بل أسمى من النبوة والرسالة]، وقال في (نفحات القرآن) جزء 9 ص 19: [ما هو هذا المقام الذي ناله ابراهيم في آخر عمره بعد نياله مقام النبوة والرسالة وبعد ذلك الجهاد الطويل؟ من المسلم به انه كان أسمى وأرفع منهما جميعاً]، وقال ايضاً ص 17: [كما يعير القرآن أهمية خاصة للإمامة ويعتبرها آخر مرحلة من مسيرة تكامل الإنسان] وقال ايضاً جزء 7 ص 81: [على أية حال أنه (مقام الإمامة) مقام يفوق النبوة].

2- يقول آيتهم العظمى السيد كاظم الحائري في (الإمامة وقيادة المجتمع) ص 26: [ان الذي يبدو من الروايات أن مقام الإمامة فوق المقامات الأخرى - ما عدا مقام الربوبية قطعاً- التي يمكن ان يصل إليها الإنسان.... وقال ص 28: وكذا قوله عليه السلام "ان الله اتخذه خليلاً قبل ان يتخذ اماماً" يدل في ظاهره على تفوق مقام الإمامة على مقام (العبودية، النبوة، الرسالة، الخلة).... وقال ص 29: فمقام الإمامة اذن فوق مقام النبوة].

3- يقول كمال الحيدري في (العصمة) ص17: [ومن خلال هذه الشواهد يتضح لنا ان مقام الإمامة يختلف عن النبوة والرسالة بل هي أسمى منهما وارفع] ونسبه الى الطباطبائي في الميزان جزء 1 ص267.

4- قال هادي الطهراني في (ودائع النبوة) ص114: [الإمامة اجل من النبوة فانها مرتبة الثالثة شرفه الله تعالى بها بعد النبوة والخلة] / نقلاً عن اصول مذهب الشيعة للقفازي ص656.

5- ذكر ابن بابويه في (إكمال الدين) ص617-618: [والنبوة والرسالة من الله جل جلاله سنن والإمامة فريضة، والسنن تتقطع ويجوز تركها في حالات، والفرائض لا تزول ولا تتقطع بعد محمد ﷺ..... فالرسالة والنبوة سنن والإمامة فرض].

6- ذكر الحلي في (الالفين) ص3: [الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص].

ثانياً: تصريحكم بأن الأئمة أفضل من الأنبياء

وهذا أيضاً قد صرح به علماءكم وكما يلي:

1- ذكر الشيخ المفيد في (اوائل المقالات) باب (القول في المفاضلة بين الائمة والانبيا) ص85: [قد قطع قوم من اهل الامامة بفضل الأئمة (ع) من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والانبيا سوى نبينا محمد ﷺ، ووجب فريق منهم الفضل على جميع الرسل والانبيا سوى اولي العزم].

2- ذكر العلامة السيد نعمة الله الجزائري في (الانوار النعمانية ج1 ص20-21): [اعلم انه لا خلاف بين اصحابنا رضوان الله عليهم في اشرفية نبينا محمد ﷺ على سائر الانبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة، وانما الخلاف بينهم في

افضلية امير المؤمنين والائمة الطاهرين عليهم السلام على الانبياء ما عدا جدهم ﷺ، فذهب جماعة الى انهم افضل باقى الانبياء ما خلا اولي العزم فانهم افضل من الائمة عليهم السلام، وبعضهم الى المساواة، واكثر المتأخرين الى افضلية الائمة عليهم السلام على اولي العزم وغيرهم وهو الصواب....].

3- ذكر محدثكم الحر العاملي في كتابه (الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملي) ج 1 ص 403 باباً يثبت هذا التفضيل وهو الباب رقم (101) بعنوان (ان النبي والائمة الاثنى عشرى ع أفضل من سائر المخلوقات من الانبياء والاوصياء السابقين والملائكة وغيرهم ، وان الانبياء أفضل من الملائكة)، وذكر رويتين ترجحان عنوان الباب.

4- ذكر ابن بابويه في (عيون اخبار الرضا) ج 1 ص 262 فصلاً بعنوان (افضلية النبي والائمة على جميع الملائكة والانبياء عليهم السلام).

5- قال السيد أمير محمد كاظم القزويني في كتابه (الشيعة في عقائدهم وأحكامهم) ص 66: [فإنك تجد أن علياً ع كان جامعاً لجميع هذه الصفات المتفرقة في هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم، وأنه عليه السلام أفضل منهم]، وقال ص 73 تحت عنوان (الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء عليهم السلام بنص القرآن): [وأما تفضيل الشيعة لأئمتهم على الأنبياء عليهم السلام إلا رسول الله ﷺ ... لذا وجب أن يكونوا أفضل منهم] .

6- يقول آيتهم العظمى الميرزا جواد التبريزي تحت عنوان (التفضيل بين الأئمة والأنبياء) حول سؤال وجه إليه: [س: هل هناك تفضيل بين الأئمة عليهم السلام والأنبياء باستثناء رسول الله ﷺ ؟ وإذا كان فما هو الدليل على ذلك؟ ج: بسمه تعالى: أئمتنا أفضل من الأنبياء ما عدا الرسول ﷺ والله العالم]

(1)

7- وختمها الخميني في (الحكومة الاسلامية) ص 47 بقوله: [وان من ضروريات مذهبنا ان لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل].

ثالثاً: الملك الذي ينزل على الأئمة دون الأنبياء هو أعظم من جبريل

لقد حاولتم أن تدعموا عقيدتكم في تفضيل الأئمة على الأنبياء وتُرسّخوها في قلوب الشيعة بطريق آخر متمثل بإيرادكم لروايات مفادها أن هناك ملكاً يدعى "الروح" كان مع الأئمة يسددهم ويخبرهم بأخبار السماء، ولهذا الملك ميزتان كل واحدة منهما تدل بصراحة على تفضيل الأئمة على الأنبياء هما:

أ- أنه أعظم من جبريل:

فبما أنكم تعتقدون بتفضيل الأئمة على الأنبياء، فيجب أن يكون الملك النازل عليهم أعظم من الملك النازل على الأنبياء لتُرسّخوا بذلك وتوصلوا معتقدكم ذاك في التفضيل.

ب- أن هذا الملك لم يكن مع الأنبياء بل فقط مع الأئمة:

أي أن ما عند الأئمة أفضل مما عند الأنبياء لأن هذا الملك وهو الروح كان مع الأئمة فقط ولم يكن مع الأنبياء كما نصت عليه الرواية الرابعة التالية بقوله: [لم يكن مع أحد ممن مضى ، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم]، فهو غير موجود مع الأنبياء السابقين لتستيقن بأنكم تنزهون مرتبة الإمامة من أن تنحدر من عزها ورفعنها إلى مرتبة النبوة.

وإليك نص الروايات من أصح كتبكم ألا وهو الكافي للكليني ج1 ص273:

1- عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: " وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان " قال :

(1) الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية للميرزا جواد التبريزي ص179.

خلق من خلق الله عزوجل أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده .

2- عن أسباط بن سالم قال : سأله رجل من أهل هيت - وأنا حاضر - عن قول الله عزوجل : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " فقال : منذ أنزل الله عزوجل ذلك الروح على محمد ، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا .

3- عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة ، وهو من الملكوت .

4- عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممن مضى ، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم ، وليس كل ما طلب وجد .

رابعاً: تصريحكم بأن الأنبياء مع علو منزلتهم مأمورون باعتقاد إمامة

الأئمة الاثني عشر.

وقد ذكرتم لذلك عدة روايات صريحة ذكرها خاتمة محدثكم محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) ج26 ص 280-282 منها:

1- ابن يزيد عن ابن محبوب عن محمد ابن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الانبياء ، ولن يبعث الله نبيا إلا بنبوة محمد ووصية علي صلوات الله عليهما .

2- أحمد بن محمد عن العباس عن ابن المغيرة عن أبي حفص عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يا علي ما بعث الله نبيا إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعا أو كارها .

3- الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن أبي زكريا عن أبيه و محمد بن سماعة عن فيض ابن أبي شيبه عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر

(عليه السلام) يقول : إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي وأخذ عهد النبيين بولاية علي .

4- أحمد بن محمد بن علي بن الحكم عن ابن عميرة عن الحضرمي عن حذيفة بن اسيد قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما تكاملت النبوة لنبي في الاظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم .

5- السندي بن محمد عن يونس بن يعقوب عن عبد الاعلى قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : ما نبئ نبي قط إلا بمعرفة حقنا وفضلنا على من سوانا .

6- محمد بن عيسى عن محمد بن سليمان عن يونس بن يعقوب عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ما من نبي نبئ ولا من رسول ارسل إلا بولايتنا و تفضيلنا على من سوانا .

7- ابن يزيد عن يحيى بن المبارك عن ابن جبلة عن حميد بن شعيب عن جابر قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قط إلا بها .

8- محمد بن أحمد عن ابن يزيد عن ابن محبوب عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله عز وجل : " يوفون بالندر " قال : يوفون بالندر الذي اخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا .

9- أحمد بن محمد بن علي بن الحكم عن داود العجلي عن زرارة عن حمران عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم أني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني .

فإمامة الأئمة إذاً عندكم من ضروريات الأديان السماوية التي لم يبعث نبي إلا بالدعوة إليها بل أن الأنبياء جميعهم كانوا مأمورين بالإيمان بإمامة علي وأولاده التي لا تدانيها النبوة في الفضل والشرف ولا تصل إلى عشر معشارها بل ولا إلى قطرة من بحارها .

خامساً: بأن الأنبياء ما نالوا الفضل والرفعة من جهة نبوتهم واصطفائهم من الله تعالى بل من جهة إقرارهم بإمامة الأئمة والخضوع لهم.

واليك روايتان تذكران هذا المعنى هما:

1- ذكر شيخهم المفيد في كتابه (الاختصاص) ص 250: [ابن سنان ، عن المفضل بن عمر قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه ، ثم فوض إليهم أمره وأباح لهم جنته فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والإنس عرفه ولايتنا ومن أراد أن يطمس على قلبه امسك عنه معرفتنا . ثم قال يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام ، وما كلم الله موسى تكليماً " إلا بولاية علي عليه السلام ، ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام ، ثم قال : أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا].

2- ذكر المجلسي في (بحار الأنوار) ج 26 ص 282: [عن حبة العرني قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الارض أقر بها من أقر وأنكرها من أنكر ، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها].

فانظر إلى هذه المرتبة الخيالية للإمامة التي بفضل انحناء الأنبياء لها وخضوع أعناقهم أمامها نالوا ما نالوا من المراتب، لأن النبوة التي أنعم الله بها عليهم وبكل بساطة لا قيمة لها بدون إمامة الأئمة حتى أن نبي الله تعالى يونس عليه السلام لما أبى الإقرار بها وأنكرها- ظناً منه بأن النبوة أعلى منها بالشرف والأهمية - حبسه الله تعالى في بطن الحوت عقوبة له ولم يخرجها منها إلا بعد خضوعه لها واعترافه بفضلها على نبوته المسكين الخاضعة !!!

فهذه خمس مجموعات صرح بها علماءك بتفضيل مرتبة الإمامة على النبوة وأنهم لن يرضوا أبداً بأن يهبطوا بمرتبة الإمامة إلى مرتبة النبوة لأن في هذا خطأ من قدرها ورفعها، وقد أوردتها ليعلم كل عقلاء العالم والمنصفين بأنكم لم تفرقوا بين النبي والإمام في هذه المناظرة وأمثالها في الكتب والحوارات إلا لأجل صيانة

مرتبة الإمام وشرفها من أن تهبط من رفعتها وشموخها وشرفها وتنحدر إلى مرتبة النبوة، وبالإضافة لما تقدم من اثباتات صريحة من نصوص علماء أسوق إليك تصريحاً ذهبياً يثبت هذه الحقيقة التي باتت واضحة وهو لخاتمة محدثكم محمد باقر المجلسي الذي صرح بالسبب الحقيقي وراء عدم إثبات النبوة لأئمتهم فقال في (بحار الأنوار) (82/26): **[وبالجملة لا بد لنا من الازدعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء ...]**، وهذا ليس تنزيهاً لمرتبة النبوة بل خوفاً من هبوط مرتبة الأئمة إلى مرتبة الأنبياء فقال في تنمة الكلام: **[وبالجملة لا بد لنا من الازدعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنبياء والأوصياء]**، حتى أنه أورد باباً في كتابه المذكور (267/26) بعنوان (تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق).

وبهذه النصوص الصريحة انكشف النقاب عن معتقد الشيعة في الأئمة والذي تجلى فيه لجميع حظهم من قدر النبوة وشرف مرتبتها⁽¹⁾ بما يجعلهم في قفص

(1) وهكذا حصل التأمر من علماء الشيعة على مرتبة النبوة بالإجهاز عليها، وبالفعل قاموا بذبحها وسلخها عن شرفها وفضلها بمرأى ومسمع من جميع المسلمين في العالم، غير مكترثين لهذا الأصل العظيم الشريف عند الله تعالى حتى عدها سبحانه من أعظم النعم على العباد وذلك حين بين لنا سبحانه العباد الذين أنعم الله بنعمه وفضله عليهم ذاكراً في مقدمتهم الأنبياء لأنهم فازوا بوسام النبوة والسبق في القرب من الله تعالى حيث قال (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: 69)، ويقول السيد أبو الحسن الندوي في كتابه (صورتان متضادتان) حول خطر إمامة الشيعة على أصل النبوة ص 97-98: **يُحَسِّنُ بِنَا إِلَى تَلْفِي نَظَرَةَ عَلَى مَعْتَدَاتِ فَرَقَةِ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةِ وَمِبَادئِهَا الَّتِي نَنَقَلُهَا مَلْتَقَطَةً مِنْ كِتَابِهِمْ أَصُولِ الْكَافِي، هَذِهِ الْفَرَقَةُ تَرَى أَنَّ خَلِيفَةَ الرَّسُولِ وَالْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ أَيْضاً قَدْ تَمَّ تَعْيِينُهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُمْ كَالنَّبِيِّ مَعْصُومُونَ وَمَفْتَرَضُوا الطَّاعَةَ، وَأَنَّ مَنَزَلَتَهُمْ تَسَاوَى مَنَزَلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَفُوقُ مَنَزَلَةَ الْإِنْتِبَاءِ الْآخَرِينَ، أَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ لَا تَقُومُ عَلَى خَلْقَةٍ بَدُونَ إِمَامٍ، وَأَنَّ هَذَا لَا يَتِمُّ مَا لَا يَعْلَمُ بِهِ، أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَقُومُ مِنْ دُونِ إِمَامٍ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْإِمَامَةِ شَرْطٌ لِلْإِيمَانِ، وَأَنَّ طَّاعَةَ الْإِمَامَةِ وَاجِبَةٌ كَطَّاعَةِ الرَّسُولِ، أَنَّ الْإِمَامَةَ لَهُمْ الْخِيَارُ فِي تَحْلِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَحْرِيمِهَا وَإِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِثْلَ الْإِنْبِيَاءِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْإِمَامَةِ الْمَعْصُومِينَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ كَانَ ظَالِماً وَفَاسِقاً وَفَاجِراً، أَنَّ دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ كَدَرَجَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَارْفَعُ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَمِنْ جَمِيعِ الْإِنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَقَدْ كَانَ الْإِمَامَةُ يَتِمَّتُونَ بِعِلْمِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، تَعْرِضُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ عَلَى الْإِمَامَةِ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَرَدَّدُ إِلَى الْإِمَامَةِ لَيْلَ نَهَارٍ، وَفِي لَيْلَةٍ كُلِّ جُمُعَةٍ يَكْرَمُونَ بِالْمَعْرَاجِ، وَعَلَى الْإِمَامَةِ يَنْزِلُ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كُلِّ عَامٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الْمَوْتُ يَكُونُ فِي سُلْطَنَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، فَيَعْطُونَ مَنْ شَاءُوا مَا شَاءُوا، وَلَقَدْ اسْتَنْبَطَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ نَفْسَ هَذَا الْمَفْهُومِ مِنْ تَصَوُّرِ الْإِمَامَةِ الْمَذْكُورِ، فَهَذَا الْبَطْرِيْقُ هُوَ جَيْشٌ يَقُولُ (أَنَّ الشَّيْعَةَ أَمَّا يَخْلَعُونَ عَلَى الْإِمَامَةِ صِفَاتِ اللَّهِ) وَمُحَقِّقٌ آخَرٌ أَيَوَانُو يَقُولُ (أَنَّ اسْتِمْرَارَ ضَوْءِ الْإِمَامَةِ فِي الْعَالَمِ بِصِفَةِ دَائِمَةٍ أَمَّا يَمْنَحُ النُّبُوَّةَ مَكَانَةً جَانِبِيَّةً) ... وَيَنْقُلُ كَلَامَ وَلِيِّ اللَّهِ الدَّهْلَوِيِّ ص 103 قَائِلاً: (أَنَّ بَطْلَانَ الْإِمَامِيَّةِ يَعْرِفُ مِنْ لَفْظِ الْإِمَامِ، فَأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَعْصُومُ الْمَفْتَرَضُ الطَّاعَةَ، الْمَوْصَى إِلَيْهِ وَحِيّاً بَاطِنِيّاً (بَلْ أَنَّهُ وَحِيٌّ ظَاهِرٌ بِتَكْلِيمِ الْمَلِكِ كَمَا اثْبَتْنَا ذَلِكَ) وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النَّبِيِّ فَمَذْهَبُهُمْ ◀ بِسْتَلْزَامِ انْكَارِ النُّبُوَّةِ))، نَعَمْ إِنَّ عَقْدَ قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ بِمَفْهُومِهَا الشَّيْعِيِّ يَعْطِي النُّبُوَّةَ مَكَانَةً**

جانبية ونستطيع أن نلمس هذا من خلال واقع تعامل الشيعة مع شخص نبينا محمد ﷺ إذ أنها تؤثر على مكانته ﷺ في قلوب المسلمين من خلال تقليها لمحبه ﷺ عما أوجبه له دين الإسلام حيث قال ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه(49/1): [عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون إليه من ولده ووالده والناس أجمعين]، وروى البخاري (218/7): [حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد انه سمع جده عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم له لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فانه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر]، وهذا المعنى تضمنه قوله تعالى(النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ)(الأحزاب: من الآية6)، ويؤكد لسيد أبو الحسن الندوي ما أثبتته الشرع من وجوب تفرد النبي ﷺ بمحبة لا مشارك ولا مزاحم ولا مساو له فيها مهما كانت إيمانه وتقواه فقال في كتابه (صورتان متضادتان) ص96-97: [أما الشرط الرابع الذي كنا قد اشتراطناه للنبوة الدائمة والأمة الخالدة هو ان تكون شخصية الرسول هي مركز الهداية ومحور العلاقة القلبية والتقويض العقلي للأمة، وان يكون النبي هو مصدر التشريع والمستحق لأن يُطاع ويُمتثل امره، لا يشاركه في ذلك أحد من أفراد أمته... الى ان قال ص104: اما شخصية الرسول ﷺ فلا يكفينا ان نتصل بها اتصالاً قانونياً فحسب بل المطلوب منا ان نرتبط بها ارتباطاً روحياً وعاطفياً، ونحبه حباً خالصاً عميقاً يفوق كل الحب للمال والنفس والأهل والاولاد ولا تشارك في ذلك أي شخصية بعد ذات الله تعالى، وإن كان من كبار الاولياء أو من الرجال الكاملين أو فرداً عظيماً من افراد اهل البيت.

ان النبي ﷺ شمس مشرقة للعالم كله، وكل من عداه سواء كان من الصحابة الكرام أم المجددين أو مؤسسي الحكومات والممالك أو قادة الثورات، فهو ذرة تستنير بنور هذه الشمس المشرقة وتُشير، وهو تراب يتحول الى اكسيد، وحديد "حجر الفلاسفة" وهو أحق وأجدر بالوصف الذي جاء في بيتين عربيين قديمين:

ألا ان وادي الجذع أضحي ترابه في المسك كافوراً وأعواده رنّدا
وما ذاك إلا ان هندا عشيّة تمشّت وجرت في جوانبه بُردا

فهذه المحبة التي أوجبها الشرع لنبينا ﷺ، إلا أنها لم تصفو ولم تسلم للشيعة - بسبب عقيدة الإمامة - كما أمر بها الشرع وكما هي موجودة عند أهل السنة لأنهم جعلوا له مساو في الصفات، ومن ثم يكون مساو له في الحب وهم الأئمة المعصومين، وليس هذا افتراءً عليهم بل هو واقع يلتمسه كل من عاش بين أظهرهم، فهاهو وهو ممن عاش في بلادهم وطاف بها مثبتاً ذلك حيث يقول في كتابه(صورتان متضادتان) ص105-106: [ولكن هذه المعتقدات عن الإمامة والأئمة لا تعارض الاعجاب والحب للنبي ﷺ فحسب بل انها تضادّه وتتصادم معه، فكانت النتيجة الطبيعية والنفسية ان الشيعة لم يتمكنوا من تأليف كتاب قوي مؤثر في السيرة النبوية ولا ان شعراءهم النابغين وقفوا الى نظم نبويات قوية مؤثرة، ومدائح نبوية تتجلى فيها العاطفة القلبية في المديح الشعري للنبي ﷺ، وتتدفق فيه الفريحة الوقادة، كما نرى ذلك في شعر المرثي ومناقب اهل البيت وتصوير ما حدث في كربلاء بأسلوب ساحر وشاعرية بليغة، ولا نبغ فيهم شاعر للمديح يضاهي شعراء الهند الذين علا كعبهم في شعر المديح، دع عنك شعراء الفارسية في المديح النبوي مثل القدسي والجافي وهذا ما يقتضيه القياس، وهي قضية معلومة، ومن المناسب في هذه المناسبة ان انقل ما قلته في رحلتي الى ايران في كتاب "من نهر كابل الى نهر اليرموك": اننا شعرنا في كل مجتمع ينتمي الي الطريقة الامامية ان الصلة العاطفية والحماس الداخلي في حب اهل البيت وتعظيم الأئمة الذين كانوا أئمة الهدى ومصايحب الدجى - ولا يشك في ذلك مسلم - كاد يشغل كل فراغ في النفس والعاطفة والعقل والضمير ويخشى أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة التي هي مصدر كل خير وسعادة ومن شخصية الرسول الأعظم الذي نال به أهل البيت الشرف، واستحقوا الحب والتعظيم، وأنه نما وازدهر على حساب الصلة العميقة التي يجب أن تكون بين المسلم ونبية ﷺ وقد ظهر ذلك الاثر في الشعر الذي قاله شعراء ايران في مدح النبي ﷺ،

الإتهام الشرعي بتهمة هدمهم لركن النبوة من خلال حطهم من قدرها وشرفها، وهذه التهمة ثابتة في حقهم حتى مع التسليم بصحة التفريق المذكور - بثبوت صفة الوحي للنبي دون الإمام - فلن تعفيهم محاولتهم تلك من التهمة الثابتة عليهم بنصوص علمائهم.

القسم الثاني

وفيما قالوا في حق أهل البيت، وخاصة في مناقب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، وسيدنا حسين بن علي، فيفوق الثاني الاول في قوة العاطفة والتعبير عن القلب، والقدرة الشعرية وفيض الخاطر وتدفق القريحة لمسنا هذا الفرق في الشعر الذي قاله شعراء اردو في الهند من اخواننا الجعفرين، والشعر الذي قاله في المديح النبوي ولمسناه في الشعر الفارسي، ورأينا هذا الفرق في الكتب التي ألقت في السيرة النبوية وفي مناقب أهل البيت كما وكيفاً، ورأيناه في الفرق الواسع بين العناية بالمشاهد والعناية بالمساجد، وبين الشوق الى السفر الى النجف وكربلاء و"العتبات العاليات" والسفر الى الحرمين الشريفين، وأنا بسبب عيشي بين أظهرهم ووقت على ما ذكره الندوي بل أكثر من ذلك ويمكن بيان ذلك من خلال مظهرين هما:

المظهر الأول:

لا نجدهم يذكرون في محاضراتهم ومؤلفاتهم وخطبهم إلا أمتهم المعصومين وفضائلهم وعلو منزلتهم والتجريح بأعدائهم، وإذا أرادوا أن يذكروا النبي ﷺ فيكون ذكره ثانوياً، وهذا موجود عند عوامهم ومتفقيهم، فكل من عاش بين أظهرهم سيرى ذلك واضحاً جلياً، فيرى الفرق بين اهتمامهم بوفاة الحسين ووفاة علي ﷺ وعدم اهتمامهم بوفاة النبي ﷺ التي تعتبر أعظم مصيبة حلت بأمة الاسلام إلى قيام الساعة، وكذلك صرفهم النذور والطعام ثواباً للحسين ﷺ (بزعمهم) وعدم فعل نصف ذلك للنبي ﷺ، حتى ان المتأمل لحالهم يشعر أنهم لا يحبون علي ﷺ لانه ابن عم النبي ﷺ، وتلميذه وزوج ابنته، بل يحبون النبي ﷺ لانه ابن عم علي ﷺ أي الاصل هو حب علي ﷺ، ويشعر من خلال دراسة كتبهم ورواياتهم بأن الغرض الرئيسي من بعثة النبي ﷺ وإنزال القرآن هو لبيان فضل أهل البيت وثواب من يطيعهم وعقوبة من يعصيهم، وهذا ظاهر لمن قرأ اصول الكافي - وهو أهم وأوثق كتب الحديث عندهم - وأسباب نزول الآيات وتفسيرها من قبل الأئمة، لذلك روى عن علي ﷺ انه قال: [إنزل القرآن ثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا وثلث سنن وامثال وثلث فرائض واحكام] وعن ابي جعفر (ع) قوله: [إنزل القرآن اربعة ارباع: ربع فينا وربع في عدونا، وربع سنن وامثال، وربع فرائض واحكام] انظر الكافي للكليني (2/627-628).

المظهر الثاني:

يتمثل بالفرق بين اهتمامهم بقراءة القرآن وبين القراءة على استشهاد الإمام الحسين ﷺ في شهر محرم وغيره، من خلال تقديمهم للعشرات بل المئات من أصحاب الأصوات الجميلة المؤثرة التي تتوح وتلطم، في حين لم يقدموا لنا صوتاً واحداً جميلاً يتغنى بالقرآن كي يحببه إلى قلوب المسلمين - ولذا تراهم يتوجهون إلى القراء السعوديين والمصريين إن احتاجوا لذلك -، بل أني أجزم من خلال معايشتي لهم بأن صاحب الصوت الجميل لو توجه للقرآن لما وجد قبولاً ونجاحاً في الأوساط الشيعية من خلال الإقبال على أشرطته، بخلاف ما لو توجه للنياحة واللمم فسرعان ما يحقق نجاحاً كبيراً، بما يدل دلالة قاطعة على توجههم إلى القراءة على استشهاد الإمام الحسين ﷺ، وعزوفهم وإعراضهم عن قراءة القرآن وتشجيع المسلمين على قراءته.

فهذه أهم المظاهر التي تتجلى فيها ضعف العاطفة والمحبة لشخص النبي ﷺ بسبب قضية الإمامة التي ظهر خطرها عليها، فلو لم يكن في الإمامة إلا هذا الخطر على ركن النبوة - والمتمثل بتقليلها لمحبة النبي ﷺ عما أوجبه الشرع له - لكان حرياً بالمسلم أن يتنكر لها ويرفضها بشدة كي تصفو له محبة النبي ﷺ دون مشارك فيها أو قاذح يقللها، فكيف إذا انضاف إليها ما تقدم من خطر الحط من شرف النبوة وقدرها، وخطر نسفها لختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، فالخطب عندها أدهى وأمر.

بعد أن أعرضنا في القسم الأول عن تمحيص دعوى التفريق التي ذكرتموها باختصاص النبي بصفة الوحي وتكليم الملك دون الإمام، آن لنا أن نثبت بطلانها من خلال سوقنا لمرويات ونصوص علمائكم التي أثبتت هذه الصفة للإمام صراحةً أو ضمناً وكما يلي:

أولاً: أن الملك يُحدّث الإمام ويكلمه

فمن رواياتكم التي أثبتت هذا والتي نقلناها من أصح الكتب عندكم وهو الكافي للكلييني (1):

- 1- عن محمد بن مسلم قال ذكر المحدث عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص فقلت له : جعلت فداك كيف يعلم أنه **كلام الملك** ؟ قال : إنه يعطي السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك .
- 2- عن حمران بن أعين قال : قال أبو جعفر عليه السلام إن عليا عليه السلام كان محدثاً ، فخرجت إلى أصحابي فقلت : جئتم بعجبية ، فقالوا : وما هي؟ فقلت : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ، كان علي عليه السلام محدثاً فقالوا : ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه ، فرجعت إليه فقلت: إنني حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا : ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه ؟ ، فقال لي : **يحدثه ملك**.

3- عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام ... قلت : الامام ما منزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك .

4- عن بريد العجلي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرسول والنبي والمحدث ، قال : والمحدث الذي يسمع **كلام الملائكة** وينقر في اذنه وينكت في قلبه (2).

5- عن ابي عبد الله (ع) انه قال: ان علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر

(1) ينظر أصول الكافي الجزء الأول حيث وردت الرواية الأولى والثانية ص270، بينما وردت الرواية الثالثة ص176 والخامسة ص264.

(2) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج26 ص74.

في الاسماع، فقال اما الغابر فما تقدم من علمنا، واما المزبور فما يأتينا، واما النكت في القلوب فالهام، واما النقر في الاسماع فأمر الملك].
وهذه الروايات متضمنة لمعنى الوحي لأن نزول الملك وتكليمه للإمام لا يكون من تلقاء نفسه وإنما بأمرٍ من الله تعالى كما قال تعالى على لسان الملائكة ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: 64).

ثانياً: أن الملك الذي يكلم الإمام هو جبريل عليه السلام

وهذا يثبت صفة الوحي للإمام بوضوح أقوى من سابقه لأن ملك الوحي هو جبريل عليه السلام وهو أمين السماء، وقد أثبت الشيعة أنه هو الملك الذي يكلم الإمام ويسمع الإمام كلامه وحديثه، فمن نصوصكم في ذلك:

1- لقد اعترف آيتكم العظمى جعفر سبحاني بأن الملك الذي يكلم الإمام في الروايات هو جبريل عليه السلام حيث قال في مفاهيم القرآن (390/4): [الظاهر أن المراد من الملك في هاتيك الروايات هو جبرئيل].

2- يقول فيلسوفهم صدر الدين الشيرازي في كتابه (الحجة) بأن جبريل هو روح القدس وذلك ص 91: [جبرائيل هو المسمى بروح القدس]، ثم أثبت بأن الإمام يسمع كلام الله تعالى بواسطة روح القدس أي بواسطة جبريل فقال ص 93: [قوله "والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص" أي يسمع كلام الله بواسطة الروح القدسي سماعاً في اليقظة لكن بصورة الألفاظ، ولا يرى الوساطة متمثلة متشخصة لا في اليقظة ولا في النوم أيضاً]

3- نستطيع أن نتيقن بأنه جبريل لأنه نفس الملك الذي كان يُكَلِّمُ الأنبياء والمرسلين كان يكلم الإمام، لأن الروايات أثبتت أنه نفس الملك لا غيره وهو جبريل عليه السلام.

4- هناك روايات عديدة تثبت أن جبريل عليه السلام كان ينزل على الإمام ويكلمه أكثر من مرة وفي أكثر من حادثة، فمنها:

أ- عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك بلغني أن الله تبارك وتعالى قد ناجى عليا عليه السلام قال : أجل قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبرئيل⁽¹⁾.

ب- عن عبد الله بن أبي يعفور قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنا نقول : إن عليا لينكت في قلبه أو يوقر في صدره ، فقال : إن عليا كان محدثا ، قال : فلما أكثرت عليه قال : إن عليا كان يوم بني قريظة وبني النضير كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدثانه⁽²⁾.

ج- عن رفاعة بن موسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يملي على علي عليه السلام صحيفة فلما بلغ نصفها وضع رسول الله رأسه في حجر علي عليه السلام ثم كتب علي عليه السلام حتى امتلأت الصحيفة ، فلما رفع رسول الله رأسه قال : من أملى عليك يا علي ؟ فقال : أنت يا رسول الله ، قال : بل أملى عليك جبرئيل⁽³⁾.

د- عن ابن سدير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله عليا عليه السلام ودعا بدفتر ، فأملى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بطنه واغمي عليه ، فأملى عليه جبرئيل ظهره ، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : من أملى عليك هذا يا علي ؟ فقال : أنت يا رسول الله ، فقال : أنا أمليت عليك بطنه وجبرئيل أملى عليك ظهره ، وكان قرآنا يملي عليه⁽⁴⁾.

والرواية الأخيرة تصرح بأن الملاه جبريل على علي رضي الله عنه كان قرآناً فهل يوجد أصرح من ذلك على أن الوحي حاصل للإمام.

(1) بحار الأنوار للمجلسي ج39 ص157.

(2) بحار الأنوار للمجلسي ج40 ص140-141.

(3) بحار الأنوار للمجلسي ج39 ص152.

(4) بحار الأنوار للمجلسي ج39 ص152.

ثالثاً: مفهوم النبوة والوحي متحقق في الإمام ولم ينف عنه إلا اسمها

وهذا ثابت وبكل صراحة في الرواية الثابتة في نهج البلاغة وهذا نصها: [ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يوماً في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير⁽¹⁾، ويمكن إثبات ذلك من وجهين:

الأول:

وهو المتعلق بقوله [إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى]، فهي تثبت بأن الإمام يسمع ويرى الوحي كالنبي ﷺ حذو القذة بالقذة دون أدنى فرق بينهما، وهذا يبطل زعمك بأن الوحي هو الفارق بين النبي والإمام لأنه متحقق في الإمام بنص الرواية، وإليك اعتراف علمائك عند شرحهم لهذه العبارة:

1- يقول ابن ميثم البحراني: [وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان علي عليه السلام يرى مع النبي ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت]، وقال في نفس الصفحة: [ويؤيد ذلك قوله ﷺ حين سأله عن ذلك (إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي) فإنه شهد له في ذلك بالوصول إلى مقام سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وسائر ما يراه ﷺ ويسمعه⁽²⁾، فهو يصرح بوصول الإمام إلى مقام يسمع فيه كلام الوحي والملك والشيطان، ولم يحصر السماع في ذلك بل زاد عليه وأطلقه بكل ما يراه ويسمعه النبي ﷺ دون أدنى فرق، فأين الفرق بالله عليكم يا منصفين!!!]

2- يقول حبيب الله الهاشمي الخوئي: [ما أشار إليه بقوله (إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى) ظاهر هذا الكلام يفيد أن الإمام يسمع صوت الملك ويعاينه كالرسول]⁽³⁾.

(1) نهج البلاغة - خطب الإمام علي ﷺ ج2 ص 157-158 خطبة 234.

(2) المصباح (الشرح الكبير) ميثم البحراني (318/4).

(3) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (12/42-43).

3- يقول الحسيني الشيرازي: [ثم قال الرسول ﷺ لعلي عليه السلام (أنتك تسمع ما أسمع) من صوت الوحي ورنه الشيطان وما أشبهه، (وترى ما أرى) من صورة الملائكة والشيطان] (1) (224/3).

الثاني:

بالإضافة لما تقدم من نص الرواية وتصريح العلماء، فإن الذي يؤكد أن مفهوم النبوة متحقق في الإمام هو النفي الوارد في الرواية بقوله (إلا أنك لست بنبي) وهذا يؤكد أن الوصف المتقدم ينطبق على مفهوم النبوة تماماً مما اضطره لنفي الإسم عنه بعد ثبوت الوصف له، فيقول حبيب الله الخوئي حول النفي الوارد: [ولما كان ظاهر قوله ﷺ (أنتك تسمع ما أسمع وترى ما أرى) موهماً للمساوات بينه عليه السلام وبينه ﷺ استدرك ذلك بقوله (إلا أنك لست بنبي)] (2)، ويقول الموسوي: [ثم لما أشار إلى أن الإمام يسمع كما يسمع النبي ويرى مثلما يرى، ولما كان يخشى أن يظن أحد بتساويهما نفى عنه النبوة] (3).

بمعنى أدق أن نفي النبوة عن الإمام ليس من جهة عدم اتصافه بالنبوة وعدم تحقق مفهومها فيه، بل من جهة أخرى وهي كونه ﷺ خاتم النبيين فلا يجوز أن يطلق اسم النبي على أحد بعده (4)، وإلا فوصف النبوة متحقق في علي رضي الله عنه بنص الرواية وتصريح العلماء من سماعه ورؤيته للوحي وكلام الملك.

وهكذا تبين لنا من خلال الوجهين أن مفهوم النبوة متحقق في الإمام بنص الرواية ولم ينف عنه إلا اسم النبوة دون حقيقتها لتستيقن بأن الخلاف بيننا لفظي فقط مع الاتفاق على الحقيقة والمفهوم.

(1) توضيح نهج البلاغة - للسيد محمد الحسيني الشيرازي (244/3).

(2) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (42/12).

(3) شرح نهج البلاغة - للسيد عباس علي الموسوي (348/3).

(4) ولذا ينقل حبيب الله الخوئي في شرحه السابق للنهج (43/12) قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: [وقال

ﷺ لولا أنني خاتم النبيين لكنت شريكاً في النبوة]، وقال البحراني في شرحه (318/4) ناقلاً نفس

الحديث: [وقال له الرسول ﷺ لولا أنني خاتم النبيين لكنت شريكاً في النبوة].

رابعاً: إن الاتصال بالسماء لم ينقطع بعد موت النبي ﷺ لأنه ثابت للأئمة

وهذا قد صرح به عالمكم محسن الخرازي معتمداً على ما ورد عندكم من روايات، وذلك حين أورد اعتراضاً على ختم النبوة بأن فيه حرماناً للبشر من رحمة الاتصال بالملأ الأعلى، فقال إن هذا الاتصال ثابت للأئمة بعد النبي ﷺ ولم ينقطع حيث قال في كتابه (بداية المعارف الإلهية) (281/1): [ومنها أن لازم ختم النبوة هو قطع ارتباط الأمة مع المبدأ الأعلى، وفيه أن الارتباط بالمبدأ الأعلى لا ينحصر في النبوة إذ الارتباط بواسطة الأئمة (ع) ميسور وممكن بل واجب، إذ الإمامة غير منقطعة إلى يوم القيامة، والإمام محدث والملائكة تنزل إليهم وتخبرهم بما يكون في السنة من التقدير والقضاء والحوادث وبأعمال العباد وغير ذلك، لتواتر الروايات الدالة على ذلك، من جملة ما روي عن الباقر عليه السلام: (إن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدثون) أصول الكافي (270/1)].

فهو يثبت الوحي للأئمة بكل صراحة، لأنه نفى حصول انقطاع الاتصال بالسماء بعد رحيل النبي ﷺ مؤكداً استمراره وثبوته للأئمة، وبما أن الاتصال الذي كان للنبي ﷺ في السماء هو الوحي فهو إذاً بعينه ثابت للأئمة ولم ينقطع بموت النبي ﷺ.

خامساً: أن الأئمة يعلمون أخبار السماء صباحاً ومساءً عن طريق الملك

لقد صرحتم بأن الإمام يعرف أخبار السماء صباحاً ومساءً وهذا إما أن يكون عن طريق وحي ظاهر وهو الملك أو باطن وهو الإلقاء في القلب ولكنكم قد اثبتتم له الوحي الظاهر وهو تكليم الملك للإمام⁽¹⁾ وهذا هو معنى الوحي الذي ينزل على الانبياء، ولكنكم لم تثبتوا هذا للإمام فحسب، بل جعلتم منع الله تعالى لهذا الوحي (وهو إخبار الامام بأخبار السماء والارض صباحاً ومساءً عن طريق الملك) عن الامام منافٍ لرحمته ولطفه بعباده، وبالتالي يكون القول بانقطاع الوحي بعد النبي ﷺ ينافي رحمة الله تعالى بعباده ولطفه بهم، فمن رواياتكم التي اثبتتم فيها نفس المعنى الذي نقول به ما يلي:-

(1) فقد روى الكليني عدة روايات تثبت تكليم الملك للإمام ذكرناها في النقطة الأولى في هذا القسم .

أ- ذكر الكليني في (الكافي) ج 1 ص 261 الحديث (3): [عن جماعة بن سعد الخثعمي انه قال: كان المفضل عند ابي عبد الله (ع) فقال له المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا، الله اكرم وارحم وارأف بعباده من ان يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً].

ب- ذكر ايضاً ص 262 الحديث (6): [عن ابي حمزة قال: سمعت ابا جعفر (ع) يقول: لا والله لا يكون عالم (العالم الذي افترض الله طاعته) جاهل ابداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: الله اجل واعز وأكرم ان يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وارضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه].

وهذا هو بعينه الذي أثبتته الخرازي، إذ أثبت أن الاتصال بالسماء عن طريق الملائكة حاصل للأئمة وهذا بلا شك هو مفهوم الوحي.

سادساً: إن روح القدس الذي به تحمل النبوة ينتقل من النبي إلى الإمام

وقد أثبتت هذه الروح أي روح القدس في رواياتكم والتي ميزتموها عن باقي الأرواح بأنها لا تسهو ولا تلهو وبها يعلم النبي والإمام أنباء الغيب من تحت عرش الرحمن إلى ما تحت الثرى كما- عبر عنه شارح الكافي عند تعليقه على الرواية الثانية الآتية - وهناك مزية أخرى لروح القدس وهي أن النبوة تحمل بها فبروح القدس تُحمل النبوة- حيث صرح بذلك في الرواية الثالثة- والفاجعة التي سيُصاب بها القارئ حين يعلم أن هذه الروح التي تحمل بها النبوة قد انتقلت إلى الإمام كما ورد في الرواية الثالثة بقوله: [وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الامام]، بمعنى أن الإمام سيحمل النبوة عن طريق روح القدس التي انتقلت إليه فكيف تزعمون بأنكم لم تثبتوا النبوة للإمام، ومن الروايات حول "روح القدس" هذه ما رواه الكليني في الكافي ج 1 ص 271-272:

1- عن جابر الجعفي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عزوجل : " وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة

والسابقون السابقون اولئك المقربون " فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه ، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم **روح القدس فيه عرفوا الأشياء** ، وأيدهم بروح الايمان فيه خافوا الله عزوجل وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتهاوا طاعة الله عزوجل وكرهوا معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون ، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الايمان فيه خافوا الله ، وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتهاوا طاعة الله ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون .

2 - عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن علم العالم ، فقال لي : يا جابر إن في الانبياء والاوصياء خمسة أرواح : روح القدس وروح الايمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة ، **فروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى** ، ثم قال : يا جابر إن هذه الاربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب .

3 - عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن علم الامام بما في أقطار الارض وهو في بيته مرخى عليه ستره ، فقال : يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح : روح الحياة فيه دب ودرج ، وروح القوة فيه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الايمان فيه آمن وعدل ، و**روح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الامام** ، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والاربعة الارواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو ، وروح القدس كان يرى به⁽¹⁾.

سابعاً: مفهوم العصمة يتضمن إثبات الوحي وهي متحققة في الإمام

إن مفهوم العصمة متضمن معنى الوحي من خلال إخباره وتصويبه للمعصوم، فيذكر الدكتور عبد الهادي الحسني في كتاب (العصمة) ص71: [أي ان الائمة يوحي اليهم وإلا كيف تكون العصمة؟! أما قال الله عز وجل وهو يخبر عن عصمة

(1) قال محقق الكتاب: [يعنى ما غاب عنه في اقطار الارض وما في عنان السماء وبالجمله ما دون

العرش إلى ما تحت الثرى] .

نبيه ﷺ وكونها بالوحي {والنجم اذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى} وهذه هي العصمة، ثم قال بعدها مبيناً علتها (وسببها) {ان هو إلا وحي يوحى} عن طريق جبريل (ع) الذي اخبر عنه بقوله تعالى بعدها {علمه شديد القوى} النجم (1-5).

ثامناً: لم تثبتوا نزول الوحي فقط على الإمام بل زدتم عليه

فقد أثبتتم للأئمة نزول ملك هو أعظم من جبريل عليه السلام أي لم تكتفوا بنزول جبريل على الإمام لأن هذا في نظركم شئ مشترك بينهم وبين الأنبياء، وبما أنكم تعتقدون علو منزلة أئمتكم على منزلة الأنبياء وأنها أعظم منها، فلا بد أن تضيفوا إليهم تنزلاً ملائكة أعظم من جبريل لتؤصلوا وتجذروا معتقدكم بالتفضيل أي إن الأنبياء كان ينزل عليهم جبريل فإن أئمتنا - مع نزول جبريل عليهم⁽¹⁾ - ينزل عليهم ملك هو أعظم من جبريل ولم يكن مع من مضى من الأنبياء⁽²⁾، وهذا الملك يدعى الروح وهو أعظم من جبريل وميكائيل فمن الروايات التي أثبتت ذلك والتي وردت في كتاب الكافي للكليني ج1 ص273 ما يلي:

- 1 - عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان " قال : خلق من خلق الله عزوجل أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الائمة من بعده .
- 2 - عن أسباط بن سالم قال : سأله رجل من أهل هيت - وأنا حاضر - عن قول الله عزوجل : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " فقال : منذ أنزل الله عزوجل ذلك الروح على محمد ، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا .

(1) كما أثبتنا ذلك من نزول جبريل عليه السلام على أئمتهم.

(2) بدليل العبارة التي وردت في نفس الحديث الذي سنذكره وهي قوله: [لم يكن مع أحد ممن مضى،

غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الائمة يسددهم].

3 - عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة ، وهو من الملكوت .

4 - عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممن مضى ، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم ، وليس كل ما طلب وجد .

وانظر بعين البصيرة لهذه العبارة عن هذا الملك الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل حيث قال عنه: [لم يكن مع أحد ممن مضى ، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم]، فهو غير موجود مع الأنبياء السابقين لتستيقن بأنكم تنزهون مرتبة الإمامة من أن تنحدر من عزها ورفعها إلى مرتبة النبوة.

تاسعاً: مفهوم النبوة التبليغية وتعريفها ينطبق تماماً على إمامكم المعصوم

بعدما تبين لنا بما تقدم أنكم يثبتون الوحي للإمام المتمثل بتكليم جبرئيل له وإملائه عليه قرآناً وإخباره له بأخبار السماء صباحاً مساءً⁽¹⁾، بما يجعله في مصاف الأنبياء لتحقيق مفهوم النبوة فيه، دون أدنى فرق معقول، وهذا التحقق يتأكد أكثر من خلال طرحكم مفهومي للنبوة وهما النبوة التشريعية والتبليغية على ما صرح به آيتكم العظمى جعفر سبحاني⁽²⁾ والذي عرفهما بقوله:

(1) قال علامتهم محمد جميل حمود مثبناً الوحي للإمام بالإضافة لما تقدم في كتابه (الفوائد البهية)(2/102): [فنزول جبرائيل عليه السلام والملائكة المقربين على نبينا محمد وعترته الطاهرة ... وعليه فوساطة جبرئيل أو روح القدس في علمهم في هذه النشأة]، وقال عن الوحي الذي ينزل على الرسل وأولي العزم(2/107): [وهذا القسم من الوحي يشمل العترة الطاهرة أيضاً لقوله تعالى) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الانبياء: 73).

(2) وذلك في كتابه (مفاهيم القرآن) جزء 3 ص 217-218.

- 1- النبوة التشريعية: هي أن يبعث النبي بشريعة جديدة وكتاب جديد، وهذه قد انحصرت في خمسة ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم.
- 2- النبوة التبليغية: هي أن يبعث النبي لغاية الدعوة والإرشاد إلى أحكام وقوانين سنّها الله تعالى على لسان نبيه المتقدم، وهم الأكثرية من الأنبياء حيث بعثوا لترويج الدين الذي جاء به أولي العزم الخمسة.
- ولو تأملنا التعريفين بتجرد وإنصاف نستطيع أن ننفي عن الإمام النبوة التشريعية لأنه لم يأت بشريعة جديدة غير شريعة نبينا ﷺ - وهذا لم تنفردوا به لأننا مثلكم لم نقل أن القادياني جاء بشريعة جديدة - إلا أن النبوة التبليغية متحققة فيه تماماً بمفهومها الذي ذكره ولا يمكنكم إيجاد فرق ظاهر ومقنع بينهما، وهذا التحقق يظهر بأمور منها:

الأول:

النبي التبليغي ينزل عليه الوحي وهذا متحقق في الإمام.

الثاني:

إن وظيفة النبي هي بعينها وظيفة الإمام، وهي بيانه للشريعة وحفظها من التحريف لكي تصل إلى جميع المكلفين كاملة ناصعة، حيث قال جعفر سبحاني عن وظيفة النبي التبليغي وتعريفه: [بأنه الذي يقوم بنشر الشريعة وجلائها وتجديدها لكي لا تتدرس ويتم إبلاغها من السلف إلى الخلف بأسلوب صحيح]⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه أثبت هذا للإمام، حيث يقول مرتضاهم الملقب بعلم الهدى: [لأن أصحابنا قد ذكروا وجوه الحاجة إليه في ذلك . فمنها تأكيد العلوم وإزالة الشبهات. ومنها أن يبين ذلك ويفصله، وينبه على مشكله وغامضه . ومنها كونه من وراء الناقلين ليأمن المكلفون من أن يكون شئ من الشرع لم يصل إليهم]⁽²⁾، وقال أيضاً: [فيجب أن يكون من وراء ما ينقل إلينا بعد وفاته صلى الله عليه وآله من شريعته معصوم يتلافى ما يجري في الشريعة من زلل وترك الواجب] ، وقال أيضاً ناقلاً اعتراض القاضي عبد الجبار المعتزلي حيث قال: [قال صاحب الكتاب: " فعند ذلك يقال لهم

(1) وذلك في كتابه (مفاهيم القرآن) جزء 3 ص 218.

(2) الشافي في الامامة ج 1 - الشريف المرتضى ص 75-76.

: إن شريعة النبي صلى الله عليه وآله وإن كان لا بد من أن تكون محفوظة فمن أين أنها لا تحصل محفوظة إلا بالإمام المعصوم؟]، فأجاب عنه بقوله: [فقد بينا أن الحافظ ليس يخلو من أن يكون الأمة أو الإمام ، وأبطلنا أن تكون الأمة هي الحافظة فلا بد من ثبوت الحفظ للإمام وإلا وجب أن تكون الشريعة مهملة⁽¹⁾، فانظر لهذا التطابق بين النبي التبليغي والإمام، حيث تحقق فيه مفهوم النبوة التبليغية تماماً دون أدنى فرق إلا إطلاق الاسم.

ثالثاً:

إن بعض أعلامكم حين أرادوا أن يفرّقوا بين النبي - بمفهوميته التشريعي والتبليغي - والإمام، أوردوا تفرد النبي بالوحي التشريعي والنبوة التشريعية كفرق ظاهر وحد فاصل يميز النبي عن الإمام، فمن هؤلاء:

أ- يقول علامتهم محمد جميل حمود: [ووجوب اللطف لا يختص بالأنبياء والمرسلين، بل يشمل الأوصياء والأولياء المنصوصين من قبل الله تعالى، لأن مهام هؤلاء كمهام أولئك بمناط واحد لا يختلفون عن بعضهم البعض إلا في تلقي الوحي التشريعي]⁽²⁾، وقال في نفس الكتاب (97/2): [فما لا ريب فيه عند الإمامية، أن الإمام - كالنبي - قائم مقامه في جميع شؤونه إلا تلقي الوحي التشريعي]

ب- يقول فيلسوفهم الشيرازي: [لكن النبوة ختمت بالنبي محمد ﷺ أي نبوة الرسالة والتشريع، وبقيت الإمامة التي هي باطن النبوة إلى يوم القيامة]⁽³⁾، وقال في نفس الكتاب ص 97: [فإن هذه الأحوال السنوية ... مما يقع فيه الاشتراك بين الأنبياء والرسل والمحدثين من هذه الأمة، بل أن الأرض ما خلت عن النبوة الباطنية إلا نبوة التشريع وإطلاق الاسم].

إلا أنهم غفلوا عن أن محاولة التفريق التي أوردوها غير تامة، لأنها تصح للتفريق بين النبي التشريعي فقط والإمام، ولكنها في الوقت نفسه تثبت الشراكة والتشابه

(1) الشافي في الإمامة ج 1 - الشريف المرتضى ص 180-181.

(2) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية - العلامة محمد جميل حمود (71/2-72).

(3) كتاب الحجة - صدر الدين الشيرازي ص 133.

التام- التطابق- بين النبي التبليغي والإمام في انتقاء الوحي التشريعي عنهما، وهذا منتهى الإفلاس والتخبط بأن توردوا ما تظنوه يخدمكم للتفريق، وهو في حقيقته ضدكم لتضمنه التطابق والتشريك بين النبي والإمام، فحاولتكم هذه قد انقلبت عليكم وهذا يظهر من وجهين:

1- أنها أثبتت التطابق التام بين النبي التبليغي والإمام، من خلال إفلاسكم من إيراد فرق صحيح بينهما.

2- إن نفي الوحي التشريعي عن الإمام لم تتفردوا به، فنحن أيضاً لم نثبت الوحي التشريعي لنبينا- غلام أحمد القادياني- بمعنى أن حاولتكم هذه جاءت لتؤكد التطابق بيننا وليس التفريق!!! فمرحّباً بالوفاق والاتفاق والتطابق بين نبينا التبليغي وإمامكم المعصوم.

عاشراً: علماء الشيعة صرحوا بأن الإمام يجب أن يتصف بصفات النبي

فقد صرحتم بوجود اتصاف الإمام بصفات النبي لأنه نائب عنه فيجب أن يكون مماثلاً له تماماً- أي نسخة طبق الأصل - فممن صرح بذلك من علمائكم:

1- قال عبد الحسين دستغيب في كتاب الامامة من سلسلة اصول الدين (2/6): [يجب أن يكون الإمام مشابهاً للرسول ﷺ تماماً]، وقال: [فالنائب لأي شخص يجب أن يكون مماثلاً لذلك الشخص فخليفة الرسول ﷺ يجب أن يماثل الرسول من حيث العلم والعمل، بحيث لو رآه أي شخص فكأنما رأى الرسول ﷺ].

2- قال محمد تقي مصباح اليزدي ص 331: [الإمام الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام ص كلها عدا النبوة والرسالة].

3- قال محسن الخرازي في (بداية المعارف الالهية) جزء 1 ص 11: [كما انه (أي الامام) يتصف بصفات النبي ايضاً لكونه خليفة له، فان كان النبي معصوماً فهو ايضاً معصوم.... وهكذا فالامام يقوم مقام النبي في جميع صفاته عدا كونه نبياً] ويقول ايضاً جزء 2 ص 40: [فكل ما كان النبي معصوماً عنه كذلك يكون الامام معصوماً عنه]، وقال (2/44): [أن مقتضى كون الإمام قائماً مقام النبي في جميع شؤونه إلا تلقي الوحي، هو تخلقه بأخلاقه واتصافه بصفاته، إذ بدون ذلك لا يتم

الإستخلاف والنيابة ومعه لا يتم اللطف، وهو نقض للغرض، ومخالف لمقتضى عنايته الأولى ورحيميته] .

4- محمد رضا المظفر في (عقائد الامامية) ص104: [ونعتقد ان الامام كالنبي يجب ان يكون معصوماً].

5- قال عالمكم وأبرز أعلام المذهب علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتاب (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف) ص10 [وان القائم مقامه على صفات نبيه في العصمة، وكلما يجب له يجب للنائب من صفات الكمال] .
فأنتم توجبون أن يتصف الإمام بصفات النبي فكيف تقول لم نشاركهم بالصفات.

الحادي عشر: تصريح علمائكم بأهلية الأئمة لمنصب النبوة لولا عقيدة ختم

النبوة

فقد صرح علماء الشيعة بأن أئمتكم مستحقون لمنصب النبوة مؤهلون له والعقل يجوز نبوتهم إلا أن الشرع الذي صرح بختم النبوة منعه من إطلاق اسم النبي عليهم، فممن صرح بذلك:

1- المفيد في (أوائل المقالات) ص49-50 باب (القول في الفرق بين الرسل والانبيا): [وانما منع الشرع من تسمية أئمتنا بالنبوة دون ان يكون العقل مانعاً من ذلك] أي لولا الشرع لأطلقوا على أئمتهم لفظة النبي لان العقل يجوز.

2- قال هبة الدين الشهرستاني في (أوائل المقالات) ص178: [وما يدريك أن لو كانت النبوة باقية مستمرة لكانت النبوة في هؤلاء متسلسلة فما قصرنا عنها إلا لمانع في الحكمة الالهية العامة لا لقصور في استعداد هؤلاء خاصة ، والله أعلم بحقائق الامور .

3- قال السيد أمير محمد كاظم القزويني في كتابه (الشيعة في عقائدهم وأحكامهم) ص73 حول استحقاق الأئمة للنبوة والمانع منه هو ختم النبوة: [ولا يرد عليه بأنه إذا كانت مرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة كان افتراق الإمامة عنها منافياً لهذا القول لأنه مردود باستحقاق المرتبة العالية وهي الإمامة متفرع على استحقاق المرتبة التي هي دونها أي النبوة وهذا الاستحقاق ثابت في الأئمة من

البيت النبوي ﷺ وإنما كان المانع عنها هو مرتبة ختم النبوة الثابتة لرسول الله ﷺ].

الثاني عشر: تصريح فيلسوفكم الشيرازي بأن الإمامة هي نبوة باطنية وأنها حقيقة واحدة

فقد اعترف صدر الدين الشيرازي في كتابه (الحجة) بأن الإمامة نبوة باطنية وهي متفقة في حقيقتها مع النبوة، فمن أقواله:

1- صرح بأن الإمامة هي باطن النبوة فقال ص 133: [لكن النبوة ختمت بالنبي محمد ﷺ أي نبوة الرسالة والتشريع، وبقيت الإمامة التي هي باطن النبوة إلى يوم القيامة]، وقال ص 97: [فإن هذه الأحوال السنوية ... مما يقع فيه الاشتراك بين الأنبياء والرسل والمحدثين من هذه الأمة، بل أن الأرض ما خلت عن النبوة الباطنية إلا نبوة التشريع وإطلاق الاسم].

2- قال ص 51: [فيجب أن لا تنقطع الإمامة التي هي والنبوة حقيقة واحدة بالذات متغايرة بالإعتبار عن ذريته، بل لا بد أن لا ينقطع معنى النبوة وما يجري مجراه عن وجه الأرض أبداً كما توضح سابقاً].

الثالث عشر: آخر قاصمة للظهر صرح بها المجلسي بأن عقولهم لم تستطع الوقوف على فرق مقنع بين النبي والإمام

فمسكين مجلسيكم هذا رغم أنه خاتمة محدثي الشيعة وألف كتاب (بحار الأنوار) والذي طبع مؤخراً فبلغت مجلداته (110) مجلد لتتصور سعة علمه واطلاعه على المذهب بمروياته ونصوص علمائه، بعد أن أجهد نفسه ليجد فرقاً حقيقياً مقنعاً - وليس فرقاً لفظياً أو شكلياً - بين النبي وإمامهم المعصوم عجز عن ذلك لأن أوصافهم متطابقة تماماً - كما نقلنا قدرنا منها أنفاً - فبعد أن غاص في بحار روايات الشيعة ونصوص علمائهم والتي بلغت (110) أبحر - أي بعدد مجلدات كتابه - والجهد المضني الذي بذله كتب لنا تقريره النهائي واعترافه الخطير الذي يعد بمثابة كلمة الفصل وصفعة قوية لكل من يزعم وجود فرق حقيقي بين النبي

وإمام الشيعة، بأن عقولهم لم تصل إلى فرق بين ظاهر بين النبي والإمام⁽¹⁾ واستغرب أيضاً لعدم وجود جهة وعلّة مقنعة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا جهة واحدة وهي أن الشرع قال لا أن محمداً ﷺ خاتم النبيين، فقال: [وبالجملة لا بد لنا من الاذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) من الانبياء والاصياء ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الانبياء ، ولا يصل عقولنا إلى فرق بين النبي والإمامة ، وما دلت عليه الاخبار فقد عرفته⁽²⁾، والله تعالى يعلم حقائق أحوالهم صلوات الله عليهم أجمعين]⁽³⁾.

وهكذا أكملت اثنا عشر وجهاً أبطلت فيها محاولتك للتفريق بين النبي والإمام بفارق الوحي، وكل واحد من هذه الوجوه كافٍ لوحده على أن يجعل محاولة التفريق

(1) والذي يدل على هذه الحقيقة- بعدم وجود فرق حقيقي بين النبي وإمام الشيعة- بالإضافة لما تقدم هي أن شيخهم الكليني الملقب عندهم بثقة الإسلام لما حاول أن ينفي عنهم النبوة لم يجد دليلاً قوياً ومقنعاً يدعم به نفي النبوة عنهم بعدما أثبتوا له كل صفات الأنبياء بل تزيد، مما جعله ينفي عنهم النبوة بكل برود وسلبية لعدم قناعته بهذا النفي ويتجلى هذا البرود من خلال عنوان الباب الذي ساقه لنفي النبوة عنهم حيث عنوانه بقوله (باب في ان الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول فيهم بالنبوة)، فانظر إلى هذا التساهل والبرود في التعبير تجاه من يدعي النبوة في الأئمة وهو كراهية قول ذلك فيهم، إذ المفروض أن يكون العنوان (كفر أو لعن من يقول ذلك فيهم) وليس الكراهية بما يثبت عدم قناعته بوجود فرق مقنع ولذا لمّح به من خلال العنوان- على العكس من المجلسي الذي صرح بذلك-

وبقي هنا سؤال نذكر القراء به متعلق بقول الكليني بكراهية القول فيهم بالنبوة والسؤال هو: ماذا يقصد الكليني بهذه الكراهية بقوله (وكراهية القول فيهم بالنبوة) فهل هي كراهية لتنزيه مرتبة النبوة من ان يرتقي إليها الإمام، أم هي لتنزيه مرتبة الإمام من ان تتحدّر من سموها وعلائها ورفعتها فتتهبط لكي تساوي مرتبة النبي التي هي أدنى بكثير من مرتبة الإمام!!! وقد بينا أن جواب هذا السؤال هو أن هذه الكراهية لتنزيه مرتبة الإمام من أن تهبط لمرتبة النبوة فراجع في هذا الفصل.

(2) فقال عن الأخبار التي ذكرت الفرق بين النبي والإمام قبل هذا الكلام بقليل: [بيان : استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الاخبار لا يخلو من إشكال وكذا الجمع بينها مشكل جداً].

(3) بحار الأنوار للمجلسي ج26ص82، وكرر نفس الكلام بنصه في كتابه (مرآة العقول) الذي شرح به كتاب الكافي للكليني وذلك في ج2ص290.

هباءً منثوراً، فكيف لو اجتمعت جميعها، وينقضي لمحاولتك أكون قد وصلت إلى نهاية المناظرة والحوار والتي سأخرج منها بثلاث نتائج تمثل خلاصة الحوار وهي:

النتيجة الأولى

لا يمكنك الرد على أدلتي وتفنيدها لأنها نفس الأدلة العقلية التي استدل بها علماءك ليثبتوا صحة معتقدكم في الإمامة، فأنتم بين أمرين أحلاهما مر، فاخاروا إما أن تنقادوا لدعوتنا نحن القاديانيون بمقتضى ما انتهى إليه الحوار والمناظرة، أو أن تتخلوا عن أدلتكم العقلية التي ساقها علماءكم وأساطينكم وعندها وجب عليكم اعتناق عقيدة أخرى غير عقيدتكم التي ظهر ضعفها وهشاشتها.

النتيجة الثانية

تبين لك ولجميع المسلمين مدى التطابق التام بين عقيدتنا في النبوة وعقيدتكم في الإمامة فهما يخرجان من مشكاة واحدة ويمثلان وجهين لعملة واحدة، فقد تطابقت نظريتنا تمام المطابقة من حيث الأدلة لأنها نفس الأدلة العقلية، ومن حيث صفات المرشد الإلهي - نبينا وإمامكم المعصوم - لأنها نفس الصفات وقد تجلى هذا بوضوح من خلال عجزك عن إيجاد فرق حقيقي بينهما من خلال المناظرة، وحقيقة التطابق هذه خافية على كثير من المسلمين إلا أن الحوار الذي دار بيننا قد أظهرها بكل وضوح ليعلم الجميع حقيقة معتقدكم في الإمامة لأن ظاهرها برئ وأما باطنها فقد وقفت على ما فيه من أنها تدعوا إلى وجوب استمرار النبوة ولكن تحت غطاء الإمامة أي فقط رفعت لفظ النبي ووضعتم بدلاً عنه لفظة الإمام وما عدا هذا الخلاف اللفظي فلا يوجد فرق يذكر.

النتيجة الثالثة

ظهر بصورة قطعية وبالنصوص الصريحة أنكم معاشر الشيعة قد تنقصتم وحططتم من قدر مرتبة النبوة وشرفها، لأنكم نزهتم الإمام من أن يهبط وينحدر من رفعة مرتبة الإمامة وشموخها وعلائها إلى مرتبة النبوة الأدنى، وهذا ما ترفعنا عنه نحن ولم نجرؤ عليه..

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة أتمنى أن أكون قد وفّقت لبيان الخطر الذي تخفيه نظرية الإمام المعصوم لدى الشيعة على أصل النبوة وخاتميته بنبينا محمد ﷺ رزقنا الله شفاعته، لأن حقيقتها تدور بين احتمالين لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول:

أن واضعها كان غرضه الأول هو القول باستمرار النبوة ولكنه بخبث وخفاء غلّفها بلفظ الإمام المعصوم لتتطلي على الجهلة وتلقى القبول بين الناس، وليسلم من هجمة علماء المسلمين عليه بدعوى أنه لم يصرح باستمرار النبوة، بما يجعلها في مصاف العقائد الهدامة التي تهدف للقضاء على الإسلام عن طريق التشكيك بعقائده وأصوله ومسلماته، فاتحاً الباب على مصراعيه لمن يستطيع أن يغرف من هذا الأصل بخفاء ..

الاحتمال الثاني:

أن واضعها لم يكن غرضه القول باستمرار النبوة، بل هي مجرد نظرية استحسناها بعقله فاعتقدها ثم أخذ يسوق لها من الأدلة ما يثبت به صحتها، فغرضه كان منصباً على إثباتها والدفاع عنها، وهذا الاندفاع جعله لا يتنبّه ولا يتدبر عواقبها والنتائج الخطيرة التي ستقرزها والتي من أبرزها وأخطرها هي تهديد عقيدة ختم النبوة لأنها ستكون سلاحاً يستخدمه مدعو استمرار النبوة وجسراً يعبرون عليه لنشر باطلهم بين المسلمين كما تبين في هذه الدراسة، وهذا سيجعله في مصاف الفرق الهدامة أيضاً التي تهدف للقضاء على الإسلام عن طريق التشكيك بعقائده وأصوله ومسلماته.

فعلى كلا الاحتمالين هي خطر حقيقي على الإسلام وأهله، وأسأل الله تعالى أن يتنبه المسلمون للخطر الكامن فيها فيحذروها من لا يعتقدونها ويتأملها الذي يعتقدونها لعله يقلل من اندفاعه في الدفاع عنها ويتدبرها من جديد بعد وقوفه على هذا الخطر الكامن فيها بتهديدها لركن النبوة وخاتميتها.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذه الدراسة التي دافعت فيها وذدّت بها عن شرف النبوة وخاتميتها المقدسة بنبينا محمد ﷺ رزقنا الله تعالى شفاعته وحشرنا معه برحمة أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

مصادر الدراسة

1. الاختصاص - الشيخ المفيد - الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

2. الإرشاد للشيخ المفيد - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - الطبعة الثالثة 1979.
3. أصول العقائد في الإسلام - السيد مجتبی اللاري - مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم - قم - الطبعة السادسة 1424هـ.
4. الأصول من الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي - صححه وعلق عليه على أكبر الغفاري - الناشر دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندی تهران - بازار سلطاني - الطبعة الثالثة (1388).
5. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد شيخ الطائفة الفقيه الأكبر أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي 385 - 460 منشورات مكتبة جامع جهلستون - طهران
6. الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر مكتبة الألفين الكويت - الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م مكتبة الألفين : بنيد القار - الكويت
7. الإمامة - الشيخ محمد حسن آل ياسين - منشورات المكتب العالمي - بيروت
8. الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية - آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي - دار الصديقة الشهيدة - الطبعة الثانية 1382 هـ - إيران - قم.
9. الأنوار الجلالية - المقداد السيوري - الطبعة الأولى 1420 هـ - مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة
10. الأنوار النعمانية - السيد نعمة الجزائري - مطبعة شركة بنجاب - تبريز - إيران.
11. أوائل المقالات تأليف الامام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم ابي عبد الله، العكبري، البغدادي (336 - 413 هـ) دار المفيد طباعة - نشر - بيروت. لبنان الطبعة الثانية 1414 هجرية - 1993 ميلادية.
12. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان - الطبعة الثانية المصححة 1403 هـ -

- 1983 م.
13. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية-محسن الخرازي-مؤسسة النشر الإسلامي-الطبعة الحادية عشرة
14. بداية المعرفة في علم الكلام-الشيخ حسن مكي العاملي-دار المغرب-بغداد
- 16.التبيان في تفسير القرآن-محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ - مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي- الطبعة الأولى 1409هـ
- 17.تفسير القرآن العظيم الامام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ دار المعرفة بيروت - لبنان 1992 م - 1412 هـ.
- 17.تلخيص الشافي للطوسي - مطبعة الآداب في النجف - الطبعة الثاني 1963.
- 18.تنزيه الانبياء تصنيف ابى القاسم على بن الحسين الموسوي المعروف بالشافري المرتضى " المتوفى سنة 436 هـ " دار الاضواء الطبعة الثانية 1409 هـ. - 1989 م.
- 19.توضيح نهج البلاغة- للسيد محمد الحسيني الشيرازي- طهران- دار تراث الشيعة
- 20.الحكومة الإسلامية- الخميني- تعليق محمد أحمد الخطيب- دارعمان للنشر- الطبعة الأولى 1988م.
- 21.دراسة عامة في الإمامة-للعامة الشيخ إبراهيم الأميني-مؤسسة أنصاريان 1996م
22. دروس في العقائد الإسلامية-مكارم الشيرازي-مدرسة الإمام علي بن أبي طالب 1419هـ
23. دروس في العقيدة الإسلامية-محمد تقي مصباح اليزدي
- 24.رسائل الشريف المرتضى * تأليف: الشريف المرتضى * تقديم: السيد أحمد الحسيني * إعداد: السيد مهدي الرجائي * نشر: دار القرآن الكريم - قم * طبع: مطبعة سيد الشهداء - قم * التاريخ: 1405 هـ .
- 25.الرسائل العشر - شيخ الطائفة الطوسي - تحقيق واعظ زاده الخراساني - الناشر جامعة المدرسين - قم 1404هـ.
- 26.رسائل المحقق الكركي - المجموعة الأولى * المؤلف: المحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي * تحقيق: الشيخ محمد

- الحسون * الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي
النجفي قم * الطبع: مطبعة الخيام قم * الطبعة:
الأولى * التاريخ: 1409 هـ ق.
- 27.رسالة في مسائل الخلاف للسيد حسن بن سيد احمد الاسكندري- مخطوطة
سلسلة أصول الدين-عبدالحسين دستغيب-مؤسسة دار
الكتاب الجزائري-الطبعة الثانية1425هـ
- 28.الشافى في الإمامة - الشريف المرتضى قدس سره - الناشر : مؤسسة الصادق
- طهران * الطبعة : الثانية تاريخ النشر : 1410 هـ
ق .
- 29.الشافى في شرح أصول الكافي- عبدالحسين المظفر - مطبعة الغري
الحديثة- النجف
- 30.شرح نهج البلاغة- السيد علي عباس الموسوي- بيروت- دار الرسول-
الطبعة الأولى 1418هـ
- 31.الشيعة في عقائدهم وأحكامهم-أمير محمد الكاظمي القزويني-الطبعة الأولى-
الكويت
- 32.صراط النجاة استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي (قدس سره) مع تعليقة وملحق
لاية الله العظمى التبريزي (دام ظلّه الوارف) الطبعة:
الاولى في الجمهورية الإسلامية الإيرانية جمادى الاول
1416 هـ .
- 33.صورتان متضادتان لابي الحسن الندوي - طبعة سنة 1985.
- 34.الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف تأليف العالم العابد الزاهد رضي الدين أبي
القاسم علي بن موسى ابن طاوس الحلي المتوفى سنة
664 هـ - مطبعة الخيام - قم 1399 هـ
- 35.العصمة - الدكتور عبد الهادي الحسيني - دار المرتضى للطباعة والنشر -
الطبعة الاولى 1997.
- 36.عقائد الامامية - محمد رضا المظفر - دار الزهراء للطباعة والنشر - بيروت
لبنان - الطبعة الثالثة.
- 37.عيون أخبار الرضا للشيخ الاقدم والمحدث الاكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن
على بن الحسين بن بابويه القمي قدس سره المتوفى سنة
381 صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ
حسين الاعلمي الجزء الاول منشورات مؤسسة

- الاعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان - الطبعة الاولى
1404هـ.
38. الفصول المهمة في أصول الأئمة - محمد بن الحسن الحر العاملي تحقيق
واشراف : محمد بن محمد الحسين القائيني الناشر :
لمؤسسة معارف إسلامي امام رضا (ع) تاريخ النشر
: الاولى - 1418 هـ . ق . (1376 هـ . ش)
39. الفصول المهمة في تأليف الأمة المؤلف: العلامة السيد عبد الحسين شرف
الدين الموسوي الناشر: قسم الإعلام الخارجي
المؤسسة البعثة الطبعة: الأولى.
40. الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية-العلامة الشيخ محمد جميل حمود-دار
الفرق للطباعة والنشر-الطبعة الأولى 1425هـ
41. القادياني والقاديانية لابي الحسن الندوي - الدار السعودية للنشر - الطبعة
الثالثة 1967.
42. القاديانية والاستعمار الانكليزي - عبد الله سلوم السامرائي - دار الرشيد للنشر
1981.
43. كتاب الحجة-صدر الدين الشيرازي-مؤسسة التاريخ العربي-الطبعة الأولى
2004م
44. كشف الأسرار- الخميني- دار عمان - الطبعة الثالثة 1988م.
45. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد * مؤلف : علامة المحقق الخواجه
نصير الدين طوسي * ناشر : انتشارات شكوري ،
پاساژ قدس ، * الطبعة الرابعة 1373هـ
46. كمال الدين وتمام النعمة المؤلف : الشيخ الجليل الاقدم الصدوق الناشر :
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة - ايران التاريخ : محرم الحرام 1405
47. المجموعة الكاملة لمؤلفات محمد باقر الصدر- المجلد 11- دار التعارف
للمطبوعات- بيروت - لبنان- سنة الطبع 1990م.
48. مختصر الصواعق المرسله لابن القيم - دار الندوة الجديدة 1984.
49. مرآة العقول-محمد باقر المجلسي-دار الكتب الإسلامية-طهران-بازار سلطاني
50. المراجعات - السيد عبدالحسين شرف الدين - تحقيق حسين الراضي - الناشر
الجمعية الإسلامية - الطبعة الثانية 1982م.
51. المسألة القاديانية لابي الاعلى المودودي.
52. المسلك في أصول الدين وتليه الرسالة الماتعية كلاهما تأليف نجم الدين أبي

- القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المحقق الحلي (ره) :
602 - 676 هـ تحقيق رضا الأستاذي الناشر :
مجمع البحوث الإسلامية ، إيران - مشهد الطبعة :
الأولى 1414 ق - 1373 ش
53. المصباح (الشرح الكبير) - ميثم البحراني - طهران - الطبعة الثانية 1404 هـ
54. مفاهيم القرآن - جعفر سبحاني - مؤسسة الإمام الصادق - الطبعة الرابعة 1413 هـ
55. الملل والنحل - جعفر سبحاني - الطبعة الثانية 1408 هـ - مركز مديريت حوزة علمية - قم
56. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي - طهران - المكتبة الإسلامية - الطبعة الرابعة 1405 هـ
57. موقف الامة الإسلامية من القاديانية لخبنة من علماء باكستان - مجلس تحفظ ختم النبوة.
58. النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - أبو الحسن الندوي - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية 1965 م
59. النكت الاعتقادية - الشيخ المفيد - الطبعة الثانية 1993 م - دار المفيد - بيروت
60. نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين تأليف المحدث السيد نعمة الله الموسوي الجزائري تحقيق السيد الرجائي . طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي . الطبعة الاولى التاريخ 1417 هـ . ق .
61. وسائل الشيعة - الحر العاملي - الطبعة الإسلامية - تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي - الناشر دار احياء التراث العربي - بيروت.
62. وسائل الشيعة - الحر العاملي - تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لأحياء التراث - الطبعة الثانية 1404 هـ، المطبعة قم مهر .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	التمهيد
15	المقدمة
19	الفصل الأول: نبذة مختصرة عن القادياني والقاديانية
37	الفصل الثاني: ختم النبوة من منظار أهل السنة وجوابهم على شبهة القاديانية
41	الفصل الثالث: جواب الشيعة على شبهة القاديانية وفيه مطالب :
39	المطلب الأول: تبني علماء الشيعة لجواب أهل السنة في رد شبهة القاديانية.
50	المطلب الثاني: مصادمة جواب أهل السنة مع معتقد الشيعة في الإمامة
56	المطلب الثالث: سبب وقوع علماء الشيعة في التناقض الصريح
59	الفصل الرابع: أهم الأصول العقلية المعتمدة عند الشيعة
61	الأصل الأول: وجوب وجود إمام معصوم في كل عصر
62	الأصل الثاني: في حالة تعارض العقل والنقل يُقَدَّم العقل
67	الفصل الخامس: عرض المناظرة بين الشيعي والقادياني
91	الفصل السادس: محاولة الشيعي للتفريق بين النبي والإمام ودحضها
127	الخاتمة
128	مصادر الدراسة